

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

قديسو برية شيهيت

- ١ -

سيرة القديس أنبا مقار الكبير

للأب متى السليبي

كتاب: سيرة القديس أنبا مقار الكبير.
(مستخرج من كتاب: الرهبنة القبطية - الطبعة الثانية ١٩٨٤ - ص ٥٥ - ١٦٧).
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ١٩٨٩
الطبعات اللاحقة من الثانية حتى الخامسة: من ١٩٩٦ - ٢٠٠٨.
الطبعة السادسة: ٢٠١٢.
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.
ص.ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٧٠٧٣ / ٨٩
رقم الإيداع الدولي: 4-086-977-ISBN
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

يُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠

أو من: مكتبة الدير

أو من خلال الموقع على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

المحتويات

صفحة

مقدمة:

٥

القديس أنبا مقار والشهادة للمسيح

الفصل الأول:

١٠

نشأة القديس مقاريوس

الفصل الثاني:

٢١

اعتزاله العالم

الفصل الثالث:

٢٨

زيارة أنبا مقاره للأب الكبير أنبا أنطونيوس

الفصل الرابع:

٣٢

علاقة القديس مقاره الوطيدة ببنيريا والقلالي

وزيارته للقديس باخوميوس الكبير

الفصل الخامس:

٣٩

شخصية القديس وصفاته

الفصل السادس:

٤٦

الحياة التمتشفية للقديس مقاره

الفصل السابع:

٥٢

محبة القديس للصلاة والوحدة

الفصل الثامن:

٥٩

نبؤات ورؤى القديس مقاره

الفصل التاسع:

٦١

تسلط القديس مقاره على الشيطان والأرواح الشريرة

الفصل العاشر:

٦٧

القديس مقاره رجل معجزات

الفصل الحادي عشر:

٧٥

فالنس الوالي يضطهد رهبان مصر

وينفي المقارئين القديسين

الفصل الثاني عشر:

٨٤

خطاب أنبا مقار الأخير ونياحته

خاتمة وتعليق:

٩٨

القديس مقاريوس شخصية زاخرة

بمناصر إنسانية ينبغي أن يقتدى بها

الفصل الثالث عشر:

١٠٥

كتابات القديس أنبا مقار الكبير

الفصل الرابع عشر:

١١٣

الذكصولوجيات أي التماجيد الخاصة بالقديس أنبا مقار

القديس أنبا مقار والشهادة للمسيح^(١)

الكنيسة الأرثوذكسية تضعُ القديسين في موضع هام جداً من إيمانها وتركز بشدة واهتمام على دورهم الخطير في بناء التراث الروحي للشعب.

والقديسون إما شهداء ماتوا وكان موتهم شهادة للإيمان بالمسيح، وإما عبّاد عاشوا وكانت حياتهم شهادة أيضاً للإيمان بالمسيح. أي في كلا الحالين نجد أن القديسين شهود للإيمان بالمسيح سواء بموتهم أو بحياتهم.

الشهادة للمسيح هي أعلى عمل يمكن أن يقوم به إنسان مؤمن بالمسيح، والشهادة للمسيح هي أصلاً عمل الروح القدس «روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً» (يو ١٥ : ٢٦ و ٢٧)، لذلك يستحيل على أي إنسان أن يشهد للمسيح إلا إذا كان على مستوى الروح القدس أي يكون ممتلئاً من الروح القدس فكراً وعملاً.

المسيح أرسل الروح القدس من عند الآب يوم الخمسين فبدأت الشهادة للمسيح منذ تلك اللحظة ولم تتوقف حتى هذه الساعة، بدأت بالرسول والتلاميذ ثم استمرت على مستوى الآباء القديسين في الكنيسة، سواء الذين حملوا نير الشهادة بالخدمة الرعائية من بطارقة وأساقفة أو الذين آثروا خدمة الرب بحياتهم وأعمالهم يوماً بعد يوم.

وهكذا يتضح لنا أن تدبير الروح القدس في تقديم الشهادة للمسيح لم يتوقف قط على

(١) كلمة ألقيت ليلة الإحتفال بذكرى عودة جسد القديس أنبا مقار إلى ديره بشييت، وذلك بكنيسة القديس بالدير - منتصف ليلة ٢٤/٢٥ أغسطس سنة ١٩٧٣ م الموافق ١٨/١٩ مسرى سنة ١٦٨٩ ش.

طول الزمن، فكما شهد التلاميذ/الأوائل الإثنا عشر للمسيح الذي مات أمام عيونهم وقام تحت أبصارهم هكذا ظلت الشهادة للمسيح بواسطة القديسين في كل زمان حتى اليوم. وفي هذا يؤكّد الروح القدس أن المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد بواسطة تواتر الشهادة له قولاً وعملاً بأمانة الحياة له وباستعداد سفك الدم على اسمه في أي لحظة!

كيف يشهد القديسون للمسيح بحياتهم؟

معروف أن القديس لا يريد أن تشتهر حياته أو تُعرّف أعماله قط، وهو يجاهد أكثر ما يجاهد أن تظل حياته وأعماله مخفيتين عن عيون المادحين والمتملقين، لئلا يُفَسِد عمل المسيح. ولكن وفي نفس الوقت، وبعمل مضاد تماماً، يعمل الروح القدس لإشهار كل عمل وكل قول وكل فضيلة تؤول إلى الشهادة للمسيح. لأنه «لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل ولا يُوقَدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال.» (مت ٥: ١٥)

وإن كان يظهر في هذا مضادة بين عمل الإنسان وعمل الروح القدس، ولكن تحتفي هذه المضادة في الحال إذا علمنا أن الروح القدس إنما يُظهر أعمال القديسين وسيرتهم وفضائلهم للمختارين فقط من أولاد الله الذين عندما تتكشف لهم أعمال القديسين يزدادون غيرة وتقوى ويمجّدون الآب الذي في السموات.

وهكذا نرى أن الروح القدس لا يزال يُعتبر في الكنيسة أنه هو المسئول الوحيد أو المسئول الرسمي للشهادة للمسيح، سواء في الخُدام والمرسلين حينما ينطق الحق في أفواه المتكلمين ويُهدي أقدامهم إلى مواطن الكرازة المستحقة، أو في العبّاد والقديسين حينما يحوّل أعمالهم وفضائلهم إلى شهادة نافعة للكنيسة.

لذلك بينما يعتقد القديس أنه يسعى في الحفاء ليخلص نفسه بعيداً عن كل التيارات المعاكسة للخلاص وفي غيبة عن عيون الناس، ويتمادى في البعد عن العالم واختيار الأعمال الحقيرة وغير المنظورة، إذ نجد الروح القدس وبعد أن يكمل كل رفقته ومسيرته مع هذا القديس، وبعد أن يهبه كل ما يطلب لخلاص نفسه ويسهّل له كل شهوة قلبه

في الإختفاء والبعد والسلوك بمسلك المسكنة والإتضاع، يعود الروح القدس بنفسه فيكشف كل أعمال القديس التي أكملها له الروح القدس في الخفاء وتمت ونضجت تحت إرشاده الخاص ويقدمها لتكون شهادة فاعلة للمسيح !!

وهكذا لا يمكن أن يتم عمل صالح لحساب المسيح على الأرض في أي وقت من الأوقات إلاّ ويتولى الروح القدس صياغته وتقديمه للعالم شهادة للمسيح ولجد الآب، وكل القصد من ذلك هو أن يؤكّد الروح القدس للعالم وجود المسيح في صميم الكنيسة بصورة واقعية وفعّالة، لأنه إنما يكشف المسيح الحي في قديسيه.

فوظيفة الروح القدس الأساسية على الأرض هي الشهادة للمسيح، ووسيلته المحبوبة دائماً هم القديسون الراضون لجد هذا العالم وأباطيله !!

حياة القديس أنبا مقار كشهادة للمسيح:

من الأمور الملفتة للنظر دائماً في الكتاب المقدس أن الأشخاص الذين تقع عليهم مسؤولية الشهادة لله بصورة ممتازة نجد ميلادهم يأتي غالباً بطريقة إعجازية فائقة للطبيعة. هذا نراه بوضوح من حياة إبراهيم وسارة في ميلاد إسحق بعد عُقْم شامل، حيث من إسحق صار الوعد ببركة كل الشعوب، وكذلك في ميلاد يوسف من راحيل، وميلاد صموئيل النبي من حنّة، وميلاد يوحنا المعمدان من أليصابات. وكأنما يجيء الميلاد الفائق للطبيعة ليهيئ صاحبه أيضاً ليكون شاهداً بأعمال وحياة فائقة للطبيعة !!

هكذا نجد القديس أنبا مقار، فإنه وُلد بعد عُقْم وشيخوخة من أب كاهن يُدعى إبراهيم وأم تُدعى سارة أيضاً، آية وإشارة للنير المزمع أن يضعه الله على كتفي هذا القديس بأن يكون أباً لنسل روحاني لا يُعدّ ولا يُحصى ولأجيال عديدة لا تنقطع خمسة عشر قرناً حتى الآن.

وفي سيرة أنبا مقار لا نواجه في الحقيقة أعمالاً نسكية فائقة للطبيعة مثل سميّه

الإسكندراني مثلاً. ولكن نواجه نعمة فائقة للطبيعة بكل تأكيد؛ فنذ بكور حياة هذا القديس وهو شاب بعد، ظهر له واحد من الشاروبيم عياناً بكل وضوح بصورة إنسان بهي منير كالبرق، بأجنحة وعيون متألثة كالجواهر، وهذه هي أول مرة على مدى التاريخ الكنسي كله نسمع بظهور الشاروبيم على وجه التحديد من بعد ظهوره في رؤيا حزقيال وفي سفر المزامير كحامل لله. ولكن في سيرة أنبا مقار لا يأتي الشاروبيم كمجرد رؤيا، وإنما يأتي كقوة إلهية معزية ومرافقة، فقد رافقه كل أيام حياته حتى لحظة نياحته. وهذا إنما يجعلنا نضع سيرة أنبا مقار وأعماله موضعاً خاصاً من جهة التدبير الإلهي، إذ قد تعيّن هذا القديس بصورة فائقة للطبيعة أن يؤدي رسالة روحية في الكنيسة كقائد ومعلم على أعلى مستوى من البصيرة والإلهام.

أما الشهادة التي استطاع أن يقدّمها الروح القدس للكنيسة وحساب المسيح من صميم حياة القديس أنبا مقار الخاصة، فهي قدرة هذا القديس على جمع عدد لا يُحصى من النفوس في أحوية مسيحية فائقة الانسجام والألفة بالرغم من تباين طبائعها ومشاربها، وكأنما استطاع الروح القدس عن طريق أبوة هذا القديس أن يسقي هذه الجماعات الكثيرة التي كانت تُعَدُّ بالألوف روحاً واحداً من القداسة والإتضاع والقناعة المذهلة ارتفعت إلى مستوى البشارة والتأثير في كل أقطار العالم، حتى اجتذبت بربة شهيت أنظار العالم كله إلى عدة قرون متتالية صائرة مركز بشارة حية بإنجيل المسيح بصورة مُعاشة على مستوى نماذج فائقة الكمال.

هذا هو القديس أنبا مقار الذي تغرّب يوماً عن قريته «شبير» وتوغل في الصحراء القفرة الموحشة ليعيش مع المسيح في عُزلة كان يظن أنه لن يراه فيها أحد ولن يسمع به صديق أو قريب وأنه إنما اقتنى صداقة الروح القدس والشاروبيم ليكمل وصايا المسيح لخلاص نفسه فحسب، وإذ بالروح القدس الذي عزّاه وعيّن له أحد الشاروبيم الذي اقتاده في بدء حياته يعود بعد نضج الأيام واكتمال الفضيلة ويرسل له ألوف النفوس التي تسعى للخلاص والحياة الأبدية من كل أقطار الأرض فعزّاها بالعزاء الذي اقتناه بالروح

واقْتادها بقوة الشاروبيم الذي قاده حتى أوصل الجميع إلى ميناء الخلاص .

ولا تزال هذه الروح القديسة العملاقة تثبت وجودها على ممر السنين والأيام وتعمل عملها بحسب الوعد الإلهي ضمن سحابة الشهود العظيمة التي نحيا في ظلها متشجعين حتى نكمل شهادتنا كما أكملوا .



القديس مقاريوس بين السواح - ومن بينهم أبا نوفر السائح - كما تبدو في لوحة على جدران دير قديم في روسيا

الفصل الأول

نشأة القديس مقاريوس

- ١ - ألقاب القديس مقاريوس الكبير.
- ٢ - الموطن الأصلي لأسرة القديس مقاريوس، ولماذا دُعي بالمصري؟
- ٣ - نزوح الأسرة إلى شبشربناء على رؤيا سماوية.
- ٤ - مولد القديس في كنف كاهن ورعاية أم قديسة.

١ - ألقاب القديس مقاريوس

يقول روفينوس^(١) إن اسم مقاريوس ظهر في سماء مصر كمصباح مضيء، أما القديس والمؤرخ القبطي أسقف الأشمونين ساويرس بن المقفع كاتب سير البطارقة فيذكر اسم أنبا مقار في تاريخه بلقب «المضيء»، فهو يخاطب دير أنبا مقار قائلاً: «دير الأب المضيء أباً مقار، مجمع الرهبان، وموضع الحكمة العالية، والصلاة الدائمة.»^(٢)

ويقول بالليديوس^(٣) كاتب سير الآباء وأقوالهم: [لقد بلغ مقاريوس درجة من

(١) روفينوس أحد آباء الكنيسة اللاتينية، وكان تلميذاً لديديموس القبطي الإسكندري، زار شبيبت سنة ٣٧٢م، ويقول في كتابه: «آباء الصحراء» أنه رأى في أيامه خمسين ديراً في شبيبت (وكان يقصد بـ «شبيبت» نتريا). Ruf. v. p., p. 28.

(2) Evetts, IV, 386.

(3) Laus. Hist. Mac., 2.

الحكمة الروحانية (الإفراز) حتى كان يُدعى وهو بعد شاب بـ «الصغير صاحب حكمة الشيخ» = παιδαριογέρων ، وترجمتها الوصفية «إنسان له جسم شاب ورأس شيخ». وما أن اكتمل عمره الأربعين سنة حتى وُهب مصارعة الأرواح، كما وُهب النبوة].

ويسجل لنا المؤرخ أميلينو، نقلاً عن كتاب فضائل القديس مقاريوس الموضوع باللغة القبطية، أوصاف القديس مقاريوس الروحانية كنص الترجمة:

[قيل عن أبينا القديس أنبا مقار أنه لما تقدّم في حياة الفضيلة، نال قوة معزية $\sigma\tau\chi\omicron\mu \mu\pi\alpha\rho\alpha\kappa\lambda\eta\tau\omicron\iota$ من ربنا يسوع المسيح، حتى إن القوات المضادة كانت تضطرب وترتعد أمامه، بسبب القوة المعزية التي كانت فيه.] (٤)

وقد أجمعت النصوص القبطية، سواء التي اختصت في كتابة سيرته مثل السيرة التي وضعها أحد معاصريه — وهو تلميذ أيضاً للقديس أنبا أنطونيوس — المدعو صرابامون (٥)، أو في الكتاب المختص بأقوال الآباء [أن شارو بيماً كان يظهر له ويبقى معه ليعزيه.] (٦)

فيروي لنا كاتب سيرته هكذا:

[وفي كل مرة قابلنا أنبا مقاره، ما كنا نقول كلمة واحدة إلاّ وكان يعرفها لأنه كان «لابساً الروح $\pi\lambda\epsilon\tau\mu\alpha\tau\omicron\phi\omicron\rho\omicron\varsigma$ إبنشما توفوروس»، وكان يسكن فيه روح نبوي كما كان يسكن في إيليا وسائر الأنبياء، لأنه كان متسربلاً بالتواضع كمثّل الثوب، بقوة الباراكليت الساكن فيه. وبمجرد رؤيته وهو

(4) Amél., Hist. Monast., A.M.G. XXV.

(٥) صرابامون (أو سيرايون أحياناً) قيل أنه رئيس تلاميذ الأب أنبا أنطونيوس الذي انتقل بعد نياحة معلمه، وسكن الإسقيط، وضاحب مكاربيوس الكبير مدة من الزمن.

(٦) حياة القديس مقاريوس بالقبطية نشرها أميلينو مع ترجمة فرنسية ص ٧٢ و٧٥ و٨٥.

Amélin. A.M.G. XXV.

مملوء من نعمة الله المضيئة على وجهه، كانت تعزية الروح القدس المعزي الذي فيه تأتى على كل الذين كانوا جالسين معه. [٧]

وأيضاً في نفس المخطوطة:

[ولما وصل الإخوة السبعة ومعهم أنبا موسى الأسود إلى قلاية أنبا مقاره، وجدوا القلاية مضيئة من الداخل بنور أكثر من الشمس!].

وحدّثنا «أوغريس»:

[إنني مضيت إلى عند الأب القديس مقاره، فسألته عن الأفكار التي تقاتلني بها الشياطين. فلما تحدث معي - أضاء وجهه أكثر من ضوء الشمس ولما لم أستطع أن أنظر إلى وجهه، سقطت على وجهي، فبسط يديه وأهضني. [٨]

وتقول المخطوطة أيضاً:

[وفي وقت نياحته حضر إليه الشاروبيم الذي كان معه منذ الإبتداء. [٩]
[إنه صار رسولاً في زماننا، ولم ينقص شيئاً عن بطرس وبولس... لأجل الأشياء التي شاهدناها بأعيننا وما سمعناه من الإخوة. [١٠]

وقد عثرنا على صورة أثرية (١١)، من دير القديس إرميا بسقارة، للقديس مقاريوس الكبير إلـتقطها إقـلـين هـوايت من على الحائط، تُظهره طويل القامة ذا لحية خفيفة وطويلة نازلة إلى جيب قميصه، مكتوب عليها باللغة القبطية وبحروف قديمة: «أبونا أبأ مقاره

πεπιστ απλ Πακρε πῖπνευματοφορος . اللابس الروح» .

وقد أصبح، بالفعل، هذا هو لقبه الرسمي منذ القرن الرابع = اللابس الروح .

(٧) نفس المرجع السابق ص ٢٠٢.

(٨) المخطوطة العربية س ١٨: ص ١٧ و ١٨.

(٩) نفس المرجع السابق .

(١٠) نفس المرجع السابق .

(11) Ev. Wh., II, Pl. IV.

ويقول العالم الآبائي المشهور «كواستن» (١٢)، مؤكداً قول كاسيان (١٣)، أن القديس مقاريوس الملقب بالكبير أو المصري يعتبره التاريخ الكنسي الأب الروحي للإسقيط والمؤسس الحقيقي لبرية شبيث، وذلك بالرغم من تأكيدنا أن القديس آمون المعاصر للقديس أنطونيوس هو الذي بدأ الحياة الرهبانية في منطقة نتريا (الإسقيط الشمالي).

ويستفق كل من بالليديوس وروفينوس — وهما رائدا الصحراء الأولان — في اعتبار القديس مقاريوس صاحب مركز هام جداً في التاريخ الرهباني.

ويقول «تلمونيت» (١٤) المؤرخ الفرنسي، أنه لا يوجد اسم شاعت شهرته بين متوحدي مصر من بعد اسم أنطونيوس أكثر من اسم مقاريوس!!

ويقول روفينوس (١٥) عن القديس مقاريوس المصري وسمي القديس مقاريوس الإسكندراني، أنها متناسبان بحسب اسميها (مكاريوس = المطوب) من جهة الفضائل الروحانية والمواهب الإلهية، وأنها برعا بالحقيقة في حياة التوبة حتى إلى الكمال، وبلغا إلى معرفة أسرار الله والتسلط على الشياطين وشفاء المرضى وصنع المعجزات.

الخلاصة:

لقد وُصف القديس أنبا مقاره ولُقّب بالأوصاف والألقاب الآتية بحسب الأهمية:

- ١ — الكبير، والمصري.
- ٢ — اللابس الروح.
- ٣ — أب آباء جبل شبيث، وأب البطارقة.
- ٤ — المصباح المضيء، أو أنبا مقاره المضيء.

(12) Quast. Vol. 2, p. 161.

(13) Cassian conf. XV, 3.

(14) Tillm. VIII, p. 574.

(15) Ruf. v.p., p. 28.

- ٥ - الشاب الشيخ ، أو الشاب الحكيم .
- ٦ - النبي .
- ٧ - مخيف الأرواح الشريرة .
- ٨ - صاحب القوة المعزّية .
- ٩ - رفيق الشاروبيم منذ البداية حتى النياحة .
- ١٠ - المتسرّبل بالتواضع مثل الثوب .
- ١١ - مملوء من نعمة الله المضيئة على وجهه .
- ١٢ - كان وجهه يلمع أحياناً كالشمس .
- ١٣ - كانت قلايته تظهر مضيئة أثناء الليل .
- ١٤ - كان رسول زمانه كبطرس وبولس في أيامهما .
- ١٥ - أقام الموتى من القبور !!

ويصفه مارفلكسينوس الملفان السرياني المشهور في كتابه: «شرح أقوال الآباء»: [وكان القديس مقاريوس كاملاً ، معلماً لجميع سكان الديارة (بعد العظيم أنطونيوس) ، وهو المكني عنه في الإنجيل «أقامه الله على عشر مدن» ، وذلك في معنى المعرفة الإلهية .] (١٦)

٢ - الموطن الأصلي للقديس مقاريوس ولماذا دُعي بالمصري

يقول بالليديوس أن مقاريوس الكبير دُعي بالمصري لأنه «مصري جنساً» (١٧) ، ثم لكي يُفرّق بينه وبين مقاريوس الصغير (الإسكندري) قال : إن هذا الآخر إسكندري . ومن ذلك نرى أن كلمة «إسكندري» تعني «من الإسكندرية» ، وكلمة «مصري»

(١٦) شرح البراديسوس لمارفلكسينوس - مخطوطة رقم ٩ س بمكتبة دير أنبا مقار .

تعني «من إقليم مصر»، وهو إقليم منف (الجيزة الآن). فالألقاب بالنسبة للقديسين كانت تشير إلى موطن نشأة القديس الأولى. إما «تبايسي» أي صعيدي، أو «مصري» أي من إقليم منف، أو «إسكندري» أي من نواحي الإسكندرية... إلخ.

ويؤكد المؤرخ «رينيه باسيه»^(١٨) أن بلد القديس مقاريوس الكبير هي منف، اعتماداً على اللقب الذي اشتهر به منذ البدء (المصري).

وتشير المخطوطة العربية^(١٩) وزميلتها المخطوطة القبطية التي حَقَّقَهَا وترجمها ونشرها المؤرخ أميلينو^(٢٠)، عن حياة مقاريوس الكبير بقلم صرابامون تلميذه، أن بلد أَبَوَيْ مقاريوس لم تكن «شبير»، إنما شبير هي البلد التي نزحوا إليها من موطنها الأصلي، دون ذكر اسم هذا الموطن اعتماداً على بديهيته، كونه ملقباً بالمصري.

٣ - نزوح الأسرة من منف إلى «شبير»

بناء على رؤيا سماوية

وكان أبوه قديساً، يُدعى إبراهيم، كاهناً على كنيسة المنطقة المذكورة (منف). وكانت أمه امرأة قديسة تُدعى سارة. وكانا عاقرين، وقد حدثت في زمانها حوادث شغب ونهب وسلب، اضطرتها للهجرة إلى بلدة ششوير بالمثوية، أو كما تقول المخطوطة: [كان في ذلك الزمان هياج ولم يكن أحد يخاف السلطان (الوالي الروماني على إقليم مصر) في كل أرض مصر، وكان كل من يتمكن من رفيقه يقتله وينهب أمواله. وإذا بلصوص أتى بهم الشيطان إلى منزل هذين المغبوطين فأخذوا كل ماله... وفي رؤيا أمرهما الملاك أن يرحلا إلى ششوير.]^(٢١)

(18) Synax. R. Bass.

(١٩) المخطوطة ١٨ س مكتبة دير أنبا مقار.

(20) Amélineau, Histoire des monasteres de la Basse-Egypte, Annales du Musée Guiment. Paris XXV.

(٢١) المخطوطة العربية ١٨ س — ص ٤٦ و ٥٨ مكتبة دير أنبا مقار.

ويحقق هذه الواقعة التاريخية إفلين هوايت فيقول: [إن هذا الوصف يطابق تماماً ما يسجله التاريخ عن الثورات المحلية التي جرت في مصر أيام حكم أخيليوس Acheleus، وذلك في سنة ٢٩٥ - ٢٩٧ م] (٢٢). كذلك يرجعنا إلى تاريخ الحكم الروماني الذي وضعه المؤرخ جيبون، تحقق لنا أيضاً صدق هذه الرواية، إذ نجد أنه في أيام دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م)، قامت ثورة في مصر استطاع دقلديانوس أن يخمدها (٢٣).

والمعروف أن مقاره وُلد سنة ٣٠٠ م أي بعد نزوح الأسرة إلى شبشير بستين أو ثلاثه. وهكذا يشاء الله أن يقف التاريخ المدني شاهداً لصدق رواية حياة القديس مقاريوس للكاتب الأب سيرايبون. لذلك يضيف إفلين هوايت قائلاً: [وهكذا يكون خبر هجرة أبوي مقاريوس (قبل أن يولد) إلى بلدة شبشير جزءاً من تقليد صادق وأصيل.] (٢٤)

شبشير التي بجوار ترنوط، أم المدن:

أما شبشير فهي بلدة شبشير الآن (مركز المنوفية). وقد أتى هذا الإسم بصور مختلفة، منها ششفير، وشبشير، وشبشر، وچچوير، وشفشير. واختلاف الكتابة جاء نتيجة اختلاف النطق. أما ترنوط (٢٥) فهي مدينة قديمة غرب فرع النيل الغربي (رشيد) قريبة من مدينة نيقوسيا (أبشادي)، وهي الآن الطرانة (مركز كوم حمادة)، واسمها اليوناني قديماً Térénothis، واسمها القبطي يُنطق Ternout. وتقول عنها المخطوطة أنها أم المدن، أي متروبوليس، مما يشير إلى أنها كانت مركز أسقفية. وظلت هذه المدينة ناهضة حتى القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). كما يذكر كتاب المسالك لابن حوقل: [أنها كانت ملائنة بالكنايس والأديرة الكثيرة (معابد للنصارى)، وبها قسيسون

(22) AMEL., AMG, XXV, pp. 49.

(٢٣) جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية - المجلد الأول - ص ٢٩١.

(24) Ev. White II, p. 61.

(٢٥) «ترنوت»، أو «طرانة»، كلمة تعني حسب تحقيق إفلين هوايت «بحيرة نظرون» أو «أرض نظرون»، ولعلها من كلمتين ترّا Terra أي أرض وحرف نا Na وهو الرمز الكيميائي لإسم النatrium أو الصوديوم.



الثلاث مقاررات القديسون

لوحة قديمة مرسومة على جلد، محفوظة بالدير. تمثل القديسين الثلاثة بزموزهم (أنبا مقار الكبير عن اليمين، وأنبا مقار الإسكندراني يحمل كل منهما صليباً رمز الجهاد النسكي، وفي الوسط أنبا مقار الأسقف).



لوحة خشب تمثل القديسين الثلاثة - لوحة أحدث من السابقة - إهداء
 من نياحة الحبر الجليل الأنبا إبراهيم مطران كرسى البلينا لبيعة القديس العظيم
 أبي مقار كوكب برية شيهات بالدير سنة ١٦٤٦ شهداء - ١٩٣٠ م.



المائدة القديمة بجوار كنيسة الشهيد أبسخيرون القليني



الشارونيم: القوة الإلهية التي رافقت القديس أنبا مقار كل أيام حياته
(الركن الشرقي البحري هيكل أنبا بنيامين في قاعدة القبة — كنيسة أنبا مقار)



رسم حائطي يمثل القديس أنبا مقار يرفع يده بالبركة وعن يمينه بقايا
صورة الشاروبيم القوة المرافقة له.



كنيسة القديس أنبا مقار بقبابها الثلاث، والمنارة الجديدة



المقوصرة الأثرية القديمة

وفي الواجهة: كنيسة القديس أبسخيرون الشهيد.
عن اليمين: كنيسة التسعة والأربعين شهيدا.
عن اليسار: مدخل كنيسة أنبا مقار.

ورهبان كثيرون، وأسواق عامرة، وحمّامات، وهي قرية ذات شأن في التاريخ
الرهباني. [٢٦]

وكانت «ترنوط» هي سوق شيهات (٢٧)، التي كان ينزل إليها جميع الرهبان لبيع
شغل أيديهم، ولشراء لوازم حياتهم من قح وزيت وخلافه؛ وهي التي حدثت فيها الواقعة
الحاسمة بين عمرو بن العاص والروم أيام الفتح العربي. وإليها نزل رهبان بركة شيهات
لمقابلة عمرو بن العاص، وكان عددهم آنئذ ٧٠.٠٠٠ راهباً — حسب رواية
المقريزي — فأعطاهم الأمان على صورة وثيقة ظلت محفوظة بدير أنبا مقار عدة قرون.

وقد تخرّبت كنائسها وأديرتها على يد كتامة في حربه مع القاسم بن عبد الله. وهي
معروفة الآن بطرانة كوم حمادة، على أنه كان يوجد طرانة أخرى باسم طرانة البرنوجي،
أي ترنوت نتريا، وكانت مركز تجارة نظرون إقليم نتريا، أي جبل برنوج.

وكما علمنا أن كلمة «طرانة» تفيد مكان الحصول على النظرون، لذلك تُضاف
كلمة «طرانة» على اسم البلدة المتاخمة لها دائماً، فيُقال: طرانة جبل النظرون
(شيهيت)، أو طرانة البرنوجي (نتريا).

٤ — مولد القديس في شبشير ونشأته الأولى

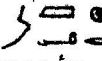
لقد أعطانا بالليديوس (٢٨) تحديداً يقرب من الدقة للسنة التي وُلد فيها القديس

(٢٦) ظلت قرية الطرانة مركزاً لقيام القوافل الذاهبة إلى وادي النظرون مدة خمسة عشر قرناً من الزمان. هذا
بجوار أنها كانت مركزاً هاماً لكثير من الديارات. والمعروف أن القديس أنبا مقار كان ينزل إليها كثيراً لبيع شغل
يديه مع رهبانه طول مدة حياته.

(27) Ev. White, II, 72, Apoph. Pat. XIII.

(28) Hist. Laus. ch. XVII.

مقاره، إذ يقول بالليديوس إن مقاره عاش ٩٠ سنة، ويعود فيقول إن مقاره تنيح قبل مجيئه شبيبت بسنة واحدة^(٢٩). ومجيء بالليديوس معروف أنه كان حوالي سنة ٣٩٠ م أو أكثر قليلاً. وهكذا يتحقق لنا أن مقاره وُلد حوالي سنة ٣٠٠ م، وكان مولده في قرية شبشير بعد نزوح الأسرة إليها بستين أو ثلاث تقريباً.

وتقول المخطوطة إنهم [حملوا معهم من وطنهم الأصلي ما تبقى لهم من فضة وأتوا إلى شبشير، فاشتري قطعة أرض ليفلحها بالإضافة إلى خدمته الكهنوتية التي استأنفها مع كهنة القرية، الذين رحبوا به، لما رأوه عليه من نعمة وقداسة]. وقد بشّر الملاك يوماً ما وهو مريض مُلقى في الكنيسة بميلاد ابن مبارك له. وفي الميعاد، حسب ما قاله له الملاك، وُلد لها ابن في غربتها ودعاه مقاره. وهنانقدم بحثاً هاماً في أصل اسم «مقار»، فالإسم أصله فرعونى ويكتب بالحروف الديموطيقية هكذا:  Mchrw، ومعناها (صادق الصوت)، وتفيد صفة الصدق والأمانة^(٣٠). وقد كانت تُنطق بالقبطية **Uakape** مقار بكسر الراء وأضيفت إليها هاء أخيرة لنضج النطق، فصارت مقاره بكسر الراء؛ وأخذ العرب هذا النطق عن القبطية، وتداولت الكلمة، فصارت مقاره، وهو أصح نطق للإسم^(٣١). أما باللغة اليونانية فأضيفت الواو والسين علامة الإسم مقاريوس.

وتستمر المخطوطة في سرد قصة حياته:

[وكان الطفل يترى وينمو في مخافة الله على يد أبويه الصالحين. ولما شب عن الطوق، بدأ يذهب مع أبيه إلى المزارع. وقليلًا قليلاً بدأ يساعد أباه في فلاحه الأرض، وكان أن الله وسّع رزقها جداً من مواشي وأملاك. وبدأت النعمة على

(29) Ibid., Mac. 13.

(٣٠) البحث هنا للأستاذ الدكتور مصطفى الأمير أستاذ اللغة الديموطيقية بكلية الآداب؛ قدّمه لنا مشكوراً.

(٣١) وهذا النطق وجدناه مكتوباً في مخطوطة الدكتور جورجى صبحي العربية المكتوبة بحروف قبطية، والتي

سجلها له العلامة إفلين هوابت في كتابه الأول ص ٢٣١.

الشاب مقاره، فكانوا يلقَّبونه بـ«الشاب الحكيم». ومن فرط حب كهنة القرية له أخذوه إلى أسقف الناحية بدون علم أبيه ورسومه «أناغنوستيس».

زواج لم يحل البتولية:

وكان أبواه يدبران له، حسب نيّتهم، لكي يزوّجوه ويرسموه كاهناً. وهكذا أيضاً بدأ الضغط من الكهنة، بالإضافة إلى أبويه، حتى رضخ لهم بدون نيّة منه. ولكنه حفظ بتوليته باتفاق مع الفتاة التي اختاروها له.

ولكي يكمل الكهنة نيّتهم فيه، أخذوه ورسومه شماساً (كخطوة لازمة قبل القسوسية). ولكي يبتعد مقاره عن الفتاة أطول مدة ممكنة، كان يذهب مع الجمّالين الأجراء عند أبيه لجلب النطرون (البورق كما في المخطوطة) من جبل النطرون! وهكذا أتقن خدمة الإبل والجمال، لذلك كان يُدعى مقاره الجمّال.

[وكان جميلاً حسناً في بهاء، وكان وجهه ممتلئاً نعمة، فأخذ الكهنة ومضوا به إلى الأسقف فكرّزه أغنسطساً... وكان حافظاً غافة الله بالطهارة وتلاوة الكتب المقدسة في الكنيسة، وكان يفهم بقلبه الذي يقرأه، فألزمه كهنة الكنيسة أن يكون خادماً للبيعة (أي ثبّتوه شماساً عليها)، واضطّروه أن يأخذ له امرأة، وكان أبواه يحبان هذا الأمر وهو لا يريد ذلك، فأكرهوه غصباً... ولكنه كان بقلبه ونفسه ناظراً إلى الله، فلم ينظر إلى أمراته ولم يتقدم إليها البتة وظل حافظاً الطهارة].

[وكان لأبيه جمال كثيرة فطلب من أبيه أن يمضي مع الأجراء إلى الجبل ليحملوا النطرون إلى مصر، وأراد بذلك أن يبعد من قلبه إرادة المرأة ويتخلص من التقدم إليها ورؤيتها... وكان يعيش مع الجمّالين، لذلك سُمّي من أهل بلده بالجمّال].

وهنا تبدأ في السيرة أول إشارة إلى العلاقة المقدسة التي بدأت بين مقاره وجبل شيهيت واستمرت إلى اليوم، وستستمر إلى جيل الأجيال...

ظهور الشاروبيم على صورة إنسان مهيب ومنير:

وفي إحدى الأسفار وهو نازل مع الجمالين إلى وادي النطرون وقد صار بالقرب من الجبل المطل على البحيرات (أسفل الجبل الذي فوق البحيرة)، وكان الكل نياماً من التعب ومقاره أيضاً نائم، إذ [رأى في نومه أمراً مخوفاً: إنساناً نورانياً متشحاً بإسطوانة كالبرق الساطع، وهذه الإسطوانة مكللة بالجواهر (عيون الشاروبيم)، وكلمه قائلاً: «أنظر حولك وتأمل أعماق الجبل». فأجابه مقاره: «إني يا سيدي لا أرى شيئاً سوى رأس البهلس (بحيرات النطرون)، والغابة (أعشاب البردي والنخيل المتكاثف بالقرب من الماء)، وعن يمينه البقعة (المستنقعات)، والجبل المحيط. فقال له الرجل النوراني: «إن الله يقول لك إني أعطيك هذا الجبل ميراثاً لك ولأولادك، يتفرغون فيه للصلاة، ويخرج منك رؤوس ومقدمون، من هذه البرية. والآن انهض من نومك وتذكر جيداً جميع ما قلته لك، وإذا صرت كاملاً أعود فأظهر لك، وأكلمك بما يجب من فم الله.]

وكان هذا هو أول ظهور الشاروبيم للقديس مقاره، الذي صار رفيقاً ومرشداً له طول أيام حياته حتى يوم نياحته.

الظروف تخضع لإشتياق القداسة:

وبرجوعه إلى بلده، وجد أن فئاته البتول مريضة بالحمى، التي اشتدت عليها حتى فارقت الحياة، وكان هذا بتدبير من الله لتبدأ قصة القديس مقاره على أروع صورها.

فما كان من الشاب مقاره إلا أن تنبّه لنفسه قائلاً: «يا مقاره احرص الآن على اغتنام هذه الفرصة لنفسك لمداوتها، لأنك حتماً ستؤخذ مثل أختك التي سبقتك».

وبدأ مقاره لا يُرى في البيت إلا منتصباً في الصلاة!! ولا يوجد خارج البيت إلا في الكنيسة!!! وظل يخدم أباه الشيخ إلى أن أسلم أبوه روحه الطاهرة.

وبموت أبيه ابتدأ يفرّق مقتنياته كلها التي ورثها عنه، ولما بدأت أمه تعثفه على مسلكه، كان يحتملها بصبر، إلى أن تنيحت هي الأخرى بعد ستة أشهر من نياحة بعلها.

الفصل الثاني اعتزاله العالم

١ - الإعتزال الأول بجوار الريف .

٢ - الإعتزال الثاني والنهائي .

١ - الإعتزال الأول

وبوصية من راهب متوحد كان يسكن في ظاهر القرية ، صادفه الشاب مقاره يوماً في الكنيسة ، انطلق مقاره بعيداً من القرية وسكن وحده ، كما فعل القديس أنطونيوس من قبل .

[وكان هناك راهب متوحد بعيداً من القرية قليلاً ، يتقي الله كثيراً ، هادياً في رهبنته ، منفرداً وحده . هذا مضى إليه مقاره وعرفه أفكاره قائلاً : إني أؤثر أن أعيش منفرداً واهتم بخلاص نفسي . فتعجب المتوحد من لطف خطابه وتواضعه ، فأجابه بكلام أحلى من الشهد ، وقال له : الشيء الذي فكّرت فيه إعمله ، فإن دعوتك هي من الله . وأرشده الشيخ أن يمضي بعيداً من القرية ويسكن في قلاية وحده ، لأنه لم تكن هناك بعد أديرة .] (١)

وهذا هو الإعتزال الأول الذي دام عشر سنوات ، والذي قُرب نهايته احتال أهل القرية عليه وما زالوا يتوسلون إليه حتى رسموه قساً حسب روايته التي رواها عن

(١) المخطوطة المذكورة رقم ١٨ س .

نفسه^(٢). وتقول المخطوطة العربية: [فلما شاهد أهل تلك القرية أعماله الحسنة وتواضعه الكثير، تشاوروا فيما بينهم ليرسموه قساً، فوضوا إلى أسقفهم القديس الذي في أشموم (أشمون) ليقسمه قسيساً، ولما وافق الأسقف أتوا مسرورين إلى قلايته فأخذوه غصباً ومضوا به إلى الأسقف فقسمه لهم قساً، وصارت عليه نعمة الله ليعين نفسه والكثيرين].

ويقول رينيه باسيه^(٣) — اعتماداً على تاريخ لوزياك، أن الأسقف هو الذي أجبره على قبول الرسامة بسبب ذبوع شهرته كناسك. ويقول المؤرخ سوزومين^(٤): إن القديس مقاره رُسم قساً وهو في سن الأربعين سنة ٣٤٠ م، وذلك في نهاية اعتكافه الأول الذي دام عشر سنوات، وأن القديس بدأ وحدته ونسكه وهو في سن الثلاثين. وهذا القول يدعّمه أقوال الآباء باللاتينية لكونتلييه^(٥).

الفضيلة تلازم مقاره منذ بدء نسكه:

[وفي هذه الأيام، حدث أن خرج من قلايته، فرأى شخصاً يسرق حاجاته ويضعها على جمل، فاقترب إليه متظاهراً أنه غريب وعاوناه في ترتيب وتحميل الحاجات على الجمل. وبعد هذا ضرب السارق الجمل لينهض ويسير، فلم يحم الجمل. فدخل مقاريوس قلايته فوجد فيها مخلاة تركها السارق، فحملها للسارق قائلاً: « يبدو أن الجمل يرفض القيام قبلما يأخذ هذه المخلاة أيضاً »، فوضع المخلاة على الجمل ونخسه^(٦)، فقام الجمل طاعة للقديس. وسار الجمل وخلفه السارق مع القديس أنبا مقاره الذي أخذ يناجي نفسه قائلاً: « إننا دخلنا العالم بلا شيء

(٢) بستان الرهبان طبعة ١٩٥٦ ص ١٤.

(3) Synax. R. Basset.

(4) Soz., Ecc. Hist., III. 14.

(5) Cotel. Vit. pat. Latin 3:99, 615. ch. 25.

(٦) من هذا الوصف يتضح تماماً أن القديس مقاره كان جملًا، فعملية تحميل الجمل تُعتبر صناعة لها أسرارها، وكذلك طريقة إعطاء الإشارة للجمل بالقيام بواسطة النخس بالرجل !!

وواضح أننا لن نأخذ منه شيئاً. الرب أعطى والرب أخذ. وما حدث، فهذا بحسب مشيئته ومسرته، الحمد لله». وبعدما سار الجمل مدة من الزمن برك على الأرض ورفض القيام إطلافاً، إلا بعد أن حلّوا الجمل وأنزلوه عن الجمل، وعندئذ قام ومشى بسهولة. وهكذا استرد القديس أمتعته... [٧]

التجربة الحزينة التي دفعته إلى الإسقيط، وبدء اعتكافه الكبير:

تقول المخطوطة القبطية المنسوبة للقديس سيرابيون تلميذ أنطونيوس، إن هذه التجربة القاسية التي امتحنه بها الرب ليزكّي بها سيرته الطاهرة ويدفعه إلى داخل البرية، أتت عليه بعد رسامته قساً^(٨) أثناء وجوده بالقرب من القرية، وهذه القصة كانت شائعة جداً بين الرهبان أثناء حياة القديس، لأنه — على ما يُظن — كان يرويها بنفسه كما يقول سيرابيون كاتب سيرته: [وهذه التجربة أنتم أجمعون تعرفونها كما شهد هو من فة الطاهر، وأنا أبجد ذكرها في هذا الكتاب]...

[لما كنت شاباً وعائشاً في قلايتي بريف مصر، جاءوا واختطفوني ورسموني قساً على قرية. ولما لم أكن أهلاً لهذه الوظيفة، هربت إلى قرية بعيدة حيث كان يتردد عليّ رجل بار يأخذ مني شغل يدي ويسد احتياجاتي.

وفي يوم من الأيام حدث أن بتولاً في ذلك المكان سقطت في الخطيئة وحملت في بطنها. فلما أشهرت، سُئلت عمّن فعل معها هذا الفعل فقالت: «المتوحد...؟!». وسرعان ما خرجوا عليّ وأخذوني باستهزاء مريع إلى الضيعة، وعلّقوا في عنتي قدوراً مُسودة وآذان جرار مسخّمة، وشهّروا بي في كل شارع من

(7) Apoph. Pat. 55, S. no. 188, 189, Cotel. Vit. Pat. 3:73, 5:16 & 6, 7:3 & 1.

(٨) يُخطئ إفلين هوايت في تقديره أن القديس مقاره رُسم قساً وهو في الإسقيط، وبعد عشر سنوات من نسكه هناك. فالحشر سنوات قضّاها بالقرب من الريف وانتهت برسامته كاهناً قبل دخوله البرية — كما تقول المخطوطة القبطية لسيرابيون تحقيق أميلينو.

شوارع الضيعة، وجماعة الصبيان يجرون خلقي وهم يضر بونني قائلين: «إن هذا الراهب أفسد عفة ابنتنا البتول وفضحها، اخزوه». وهكذا ضربوني ضرباً موجعاً، قربتُ بسببه من الموت، إلى أن جاءني أحد الشيوخ فقال لهم: «إلى متى هذه الإهانة؟ أما يكفيه كل ذلك خزياً؟»، ولكن دون جدوى. أما الرجل البار الذي كان يعولني، فكان يتبعهم من بعيد وهو خازي الوجه، وكانوا يستهزئون به أيضاً قائلين: «أنظر ماذا فعل ذلك المتوحد الذي كنت تحدثنا عنه بكل وقار»، وكانوا يواصلون ضربي قائلين إنهم لن يسكتوا عن ذلك حتى يأتيهم بضامن يتكفل بالقيام بإطعامها وتربية ولدها. فقال الشيخ لخادمي: «إضمنه»، فضمنني. ومضيت إلى قلايتي ودفعت إليه الزناويل التي كانت عندي قائلاً: «بِغها وادفع ثمنها لـ، امرأتى، لتأكل بها». وخاطبت نفسي قائلاً: «كَيْد يا مقاره، ها قد صارت لك امرأة». فكنت أشتغل ليلاً ونهاراً وأتعب لها لأقوم بإطعامها.

فلما حان وقت ولادة الشقية، مكثت أياماً كثيرة وهي معذبة وما استطاعت أن تلد. فقالوا لها: «ما هو هذا؟»، فقالت: «إن كل ما أصابني كان بسبب أنني ظلمت المتوحد واتهمته، وهو بريء، لأنه ما فعل بي شيئاً قط. لكن فلان الشاب هو الذي فعل بي هذا». فجاء خادمي إليّ مسروراً وقال: «إن تلك الشقية ما استطاعت أن تلد، حتى اعترفت قائلة إن المتوحد لا ذنب له في هذا الأمر مطلقاً، وقد كنت كاذبة في اتهامي له، وها هم أهل القرية كلهم عازمون على الحضور إليك، يريدون أن يتوبوا إليك ويسألوك الصفح والغفران». فلما سمعت أنا هذا الكلام من خادمي، أسرعت هارباً إلى الإسقيط. وهذا هو السبب الذي لأجله جئت إلى جبل النظرون. (٩)

(٩) بستان الرهبان طبعة ١٩٥٦ ص ١٤، وهي تطابق الأصل اليوناني القديم

Laus. Hist. ch. XVII, ad. init.

وقد راجعناها على المخطوطة القبطية تحقيق أميلينو المجلد ٢٥ صفحة ٢٠٣-٢٠٥ من كتابه المعروف باسم

A. M. G.

٢ - الإعتزال النهائي

ظهور الشاروويم والدعوة للإعتزال الكلي:

وبعد هذه الحادثة الحزينة - تقول المخطوطة إن القديس بدأ يفكر كيف ينتقل من الموضع جملة.

[ولما سمع القديس أن أهل القرية قادمون للإعتذار له ولتكريمه ، فكَرَّ أن يخرج من ذلك الموضع ويمضي ويسكن في قلاية أخرى بعيداً ، وفيما هو واقف يصلي من أجل هذا الأمر أمام المذبح في الكنيسة شاهد عن يمينه كاروويماً نارياً له ستة أجنحة ، وكله ملوئ عيوناً ، فلما أراد القديس أن يتفرَّس فيه حسناً اشتمله الخوف فسقط على وجهه ، فتقدم إليه الشاروويم المقدس ومسكه وأقامه وقوّاه وقطع عنه الخوف ، فلما تأيّد قال له لماذا ثقل قلبك ؟ أنسييت ما قلته لك ؟ حسناً الآن أنك احتملت هذه التجربة حتى تأخذ الكمال ، غداً بادِر واخرج من هنا وامض واسكن في الموضع الذي أريه لك : فنسى مقاره كل الضرب والتعذيب الذي ألّم به... ولما كان الليل وقام للصلاة كعادته أبصر بغيّة نوراً عظيماً في الموضع ، فعلم القديس أنه الكاروويم ، وبقي ساعة وهو لا يخاطبه ، لأنه كان مرتعداً . وبعد ذلك خاطبه وقوّاه وقال له : امشِ ورائي كما أريك . فسار والكاروويم أمامه ، وبعد يومين دخل الجبل ودار به حوله كله ، وأراه كل نواحيه وكل المواضع المزمع أن تكون مسكناً هناك . فقال القديس مقاره للكاروويم : أطلب إليك يا سيدي عرّفني أين أسكن في هذا الجبل ؟ فقال له الكاروويم : هذه الإرادة هي لك ، ها كل البرية أمامك ، لأني أخشى ، لئلا أعطيك وصية أن تسكن هنا أو هناك فيقاتلك الضجر أو الإضطهاد وتخرج من ذلك الموضع وتتجاوز الوصية فتخطيء !... فليكن سكنك بسلطانك نفسك . فأبنا أردت ، أسكن . وجرب وكُن صامتاً ، وتأمل ذاتك ، وتحرز حسناً من مقاومة الشرير وحيّله ، أما أنا فسأكون كل وقت معك كأمر الله .]

الرحلة الخالدة التي فتحت آفاقاً جديدة للكنيسة إلى جيل الأجيال :

وتحت تأثير الفرخ والنور الداخلي و بقيادة الشارويم ، سار مقاره وحيداً متجهاً إلى جبل النطرون ، يومين كاملين ، كما تقول المخطوطة . وأخذ يدور في الجبل ، وكأننا كان يضع الأساس الروحاني غير المنظور للحياة النسكية ، التي ستدوم في تلك الأديرة إلى الأبد .

الإقامة في شيهيت :

يقول بالليديوس ، في تاريخه إلى لوزاس : إن القديس مقاره التجأ إلى الصحراء وهو في سن الثلاثين (١٠) ؛ وبناءً على ذلك يعتقد إفلين هوايت أن هذا التاريخ هو بداية سكناه في شيهيت . ولكن الحقيقة أن هذا التاريخ ٣٣٠م هو بداية توحيده عامة ، لأنه توحد فعلاً في الصحراء المتاخمة لقريته مدة عشر سنوات ، التي في نهايتها رُسم قساً ، وكان يمارس خدمة الكهنوت في القرية التي زكّته قساً . وأخيراً انطلق وهو في سن الأربعين سنة ٣٤٠م إلى شيهيت .

وتمدنا كل من المخطوطة العربية والمخطوطة القبطية — تحقيق المؤرخ أميلينو — بوصف لطيف عن الأيام الأولى التي قضاها القديس وحيداً في شيهيت .

تقول المخطوطة :

[فشى الأب مقاريوس في الجبل ، وشاهد كل ما فيه ، ووصل إلى الموضع الذي يُدعى بهلس Anaballos ولم يكن بعيداً من الماء العذب ، وحفر في ذلك الجبل وعمل له مغارة وسكنها أياماً قليلة ، ثم خرج يطوف البرية . وجاء إلى يمين ذلك الموضع وحفر سرداباً وسكن فيه ، لأن الناس (رفاق مهنته الأولى من الجمالين حاملي النطرون) كانوا يطرقونه وهم في طريقهم إلى بهلس . وبعد زمان طويل وهو في ذلك الموضع ، حدث أن أجناداً من الروم قام عليهم البربر وقتلوه ، مما

(10) Hist. Laus. ch. XVII.

جعلله يصلح موضعاً آخر يصلي ويقرأ فيه (لا يعرفه أحد)، ومكاناً آخر يعمل فيه الضفيرة، يعرفه الجمالون الذين كانوا يبيعون له شغل يديه ويأتونه بالخبز اليابس. [١١]

أما المخطوطة القبطية فتضيف:
[إنه بسبب الأقوام الذين كانوا يطرقونه، انتقل جنوباً نحو الصخرة (صخرة شهيت الأولى المعروفة الآن بقارة أولاد الملوك)، وحفر مغارتين بينها سرداب.] [١٢]

ومن وصف المخطوطة القبطية يتضح أن المكان هو الموضع قرب البراموس الآن، حيث تجتمع حوله التلاميذ الذين صاروا باكورة شهيت المقدسة، وأول دير في الإسقيط (١٣).

ويلاحظ أن المخطوطة العربية أوضحت أنه عاش في ذلك المكان زماناً طويلاً.

(١١) المخطوطة العربية ١٨ س بمكتبة دير القديس أنبا مقار.

(12) AMEL., AMG, XXV, p. 76.

(13) Hist. Monachor. Gr. ch. XXX.

الفصل الثالث

زيارة أنبا مقاره

للأب الكبير أنبا أنطونيوس

- ١ - الزيارة الأولى في بدء توحّده سنة ٣٤٣ م.
٢ - الزيارة الثانية بعدها بعشر سنوات تقريباً سنة ٣٥٣ م.

١ - الزيارة الأولى

في أثناء فترة حياته الاولى ، نعلم من المخطوطة العربية أنه قام بزيارته الأولى للأنبا أنطونيوس ، وذلك في بدء إقامته بشييت ، وبالتحديد بعد ثلاث سنوات من وصوله إلى شييت ، حيث تقول المخطوطة :

[ولما لم يكن إنسان آخر ساكناً في ذلك الجبل يتعرّى بمعاينته ويكشف له أفكاره التي يسوقها عليه العدو ، حدث أنه بعد ثلاث سنين فكَرَّ في نفسه وقال : ها إني جئت إلى هذا الموضع ، وليس لي أحد يرشدني إلى سيرة البرية ، أقوم الآن وأمضي إلى الأب أنطونيوس ، لأنه كان قد سمع به وهو بعد في مصر . وقام وبدأ المسير في الطريق حتى وصل إلى الأب أنطونيوس في الجبل الشرقي . فلما اجتمع بالشيخ القديس قبله بفرح وكشف له أفكاره كإبن لأبيه . وإن الشيخ القديس أنطونيوس قَبَّلَ رأس القديس مقاريوس وقال له : يا ابني مقاره ، إنك عتيد أن تصبح مغبوطاً كإسمك !! وإن الشيخ العظيم وعظه وأيده بكلام كثير بما يليق بزي الرهبنة المقدس وعرفه بقتالات العدو . ولما طلب منه الأب مقاره بتواضع وتحشُّع أن

يسمح له بالسكنى عنده، أن الشيخ الأب أنطونيوس لم يطلق له ذلك؛ لكنه قال: كل واحد منا يلزم الموضع الذي دعاه الرب إليه. ومكث عند الشيخ أياماً قليلة، قبل فيها وصايا ورسوم خدمته. ثم قام ورجع إلى جبله، وجلس في قلايته صامتاً يخدم الله متكلاً عليه وحده. وكان الكارويم يفتقده دائماً].

وهكذا يبدو لنا أن هذه الزيارة الأولى تَمَّت سنة ٣٤٣م وفيها أصبح مقارة تلميذاً للأب الكبير أنبا أنطونيوس^(١)، بمعنى أنه استلم منه «وصايا ورسوم خدمته» وكل «ما يليق بزي الرهبنة المقدس». ^(٢)

ويصف كتاب أقوال الآباء هذه الزيارة هكذا:

[وذهب أباً مقاره الكبير لزيارة أباً أنطونيوس في جبله، فلما دق الباب خرج أنطونيوس إليه وسأل: مَنْ بالباب؟ ثم قفل ودخل إلى مغارته وتركه خارجاً، ولما رأى صبره فتح له وتحدث إليه بلطف قائلاً: «إن لي زماناً كثيراً وأنا مشتاق أن أراك، إذ سمعت بأخبارك». وأراحه لأنه كان مُجهداً من أثر تعب شديد. ولما حان المساء بلَّ أنطونيوس قليلاً من الخوص لنفسه، فقال له مقاريوس: «أسمح أن أبلِّ لنفسي أنا أيضاً قليلاً من الخوص؟»، فقال له: «بلَّ». فأصلح حزمة كبيرة وبلَّها، وجلسا يتكلمان عن خلاص النفس. وكانت الضفيرة تنحدر من الطاقة، فرأى أباً أنطونيوس باكراً أن مقاريوس قد ضفَّر كثيراً جداً، فقال: «إن قوة كبيرة تخرج من هاتين اليدين».] ^(٣)

٢ - زيارة أنبا مقار الثانية للأنبا أنطونيوس

والخطوطة القبطية والعربية لسيرابيون تذكر زيارة أخرى قام بها أنبا مقاره للأب

(1) Butler (L.H. ii, p. 193).

(2) AMEL., AMG, XXV, p. 77.

(3) AMEL., AMG, XXV, p. 77; Apoph. Pat., Macar. IV.

الكبير أنبا أنطونيوس، ولكن كثيراً من العلماء يؤكّدون عدم حدوث مثل هذه الزيارة. غير أن من أقوال الآباء^(٤) يبدو بكل وضوح وتأكيد أنه تمّت زيارتان فعلاً؛ فضلاً عن الرواية التي ذكرناها، أتى في أقوال الآباء خبر عن زيارة أخرى ذات لهجة وألفاظ تُخالف الأولى تماماً:

[حدث مرة أن ذهب أبا مقاره لزيارة أبا أنطونيوس، فلما تحدث معه عاد إلى شيهيت، وجاء الآباء لإستقباله. وبينما هو يتحدث معهم، قال لهم: لقد قلت لأباً أنطونيوس إننا لا نقيم ذبيحة في موضعنا «ديرنا بشيهيت».]^(٥)

فاستقبال الآباء لأنبا مقاره في هذه المرة يفيد أنه كانت قد تكونت جماعة كبيرة، حتى إنها صارت تحتاج إلى إقامة كنيسة، أما في الزيارة الأولى فواضح أنه كان وحيداً ومبتدئاً.

وهكذا يتحقق تماماً^(٥) أنه حدثت زيارتان بالفعل: الأولى بعد بدء حياة القديس مقاريوس بشيهيت بثلاث سنوات، كما تقول المخطوطة بوضوح، وكانت لطلب معونة شخصية وحكمة وإرشاد. والثانية تمّت بعد الأولى بزمان طويل، كما تقول المخطوطة، وذلك من أجل ازدياد حروب العدو عليه، ولأخذ نصائح للرعاية وقيادة النفوس التي تكاثرت حوله، وللإستشارة بخصوص بناء كنيسة مستقلة عن نتريا تكون في وسط شيهيت.

ويظن إقطين هويت مع كثير من المؤرخين، ظناً خاطئاً، أن في الزيارة الثانية قام أنبا أنطونيوس برسامة أنبا مقار قساً. وهذا يدعو للدهشة والعجب، فكيف يرسم من ليس أسقفاً قسيساً، حيث أنه معروف أن الرسامة منذ العصر الرسولي لا تتم إلاّ على يد أسقف؟ ثم أن الكلام الذي تبادلته القديسان معاً لا يحتمل أي معنى لتكميل رسامة من أي نوع.

(4) Apoph. Pat., XXVI, Macar. Aegypt.

(5) Ev. White, II, p. 68.

ولكن تضيف كل من المخطوطة العربية والقبطية أن في الزيارة الثانية سلّم القديس أنطونيوس «شبوته»، أي عصاته العتيقة **ⲙⲟⲩⲧ**، إلى مقاره تعبيراً عن تسلّمه أمانة التدبير الرهباني من بعده^(٦).



تاج عمود من آثار صحن كنيسة أنبا مقار الكبرى

(6) Tischendorf., Travel in the East, p. 51.

الفصل الرابع

علاقة القديس مقاره الوطيدة بنتريا والقلاي وزيارته للقديس باخوميوس الكبير

- ١ - توافد الآباء الأوائل إلى شبيت.
- ٢ - تردّد أنبا مقاره على نتريا والقلاي.
- ٣ - خبر عن زيارته للقديس باخوميوس أب الشركة.

١ - توافد الآباء الأوائل إلى شبيت

معلوم أن سيرة القديسين مكسيموس ودوماديوس كتبها الشماس الراهب بيشوي (وهو غير القديس بيشوي الكبير) الذي كان يقيم في قلاية بجوار أنبا مقاره الكبير، وقد رُسم شماساً مع أنبا إيسيدوروس القس على الكنيسة التي بُنيت تذكّاراً لمكسيموس ودوماديوس، ولهذا اهتم بصفته شماساً على كنيسة مكسيموس ودوماديوس أن يكتب سيرتها بتدقيق ويستودعها الكنيسة. وفي هذه السيرة التي حقّقها أميلينو، يتضح أن آباء شبيت الأوائل كانوا من متوحدي نتريا والقلاي، أو كما تقول المخطوطة^(١):

[جاءوا إليها من جبل برنوج، ومن منشوبات المتوحدين (القلاي)، ومن جميع أنحاء مصر].

ومن أقوال الآباء الكثيرة نعلم تماماً أسماء بعض هؤلاء المتوحدين الأوائل الذين نزحوا من نتريا والقلاي، وأقاموا في شبيت، بمجرد أن اشتهر اسم القديس مقاريوس،

(1) AMEL., AMG, XXV, p. 262, 311.

أمثال :

١ - الأب «أموي» = وهو الأب الروحي ليوحنا القصير وبيشوي، اللذين كَوّنا أول مجموعتين ديريتين معاصرتين للقديس أنبا مقاره، وأموي كما تقول أقوال الآباء (٢) كان قد تتلمذ في نتريا أولاً على الأب بيتو Pithou .

٢ - الأب إيسيدوروس : وهو أصلاً من متوحيدي نتريا وكاهن القلاي، وقد تعيّن أول كاهن بشييت تحت تدبير أنبا مقاره .

٣ - الأب شيشوي : الذي صار مشهوراً بتعاليمه ونصائحه . وقد نزع من شييت بعد ذلك إلى جبل العربة وسكن في قلاية أنبا أنطونيوس بعد نياحته .

٤ - ونقرأ عن آباء من نتريا ظلوا يترددون على شييت كل أيام حياتهم، أمثال مقاريوس الإسكندراني وبامو وبيور (٣) وبثيوس (أخ أنبا بيمن) وإسحق وآمون... إلخ .

٢ - تردّد القديس مقاره وتلاميذه على نتريا والقلاي

أولاً : زيارته لنتريا :

في مدة إقامة القديس مقاره بشييت وحتى زمن زيارته الثانية للأب الكبير أنطونيوس ، لم تكن في شييت كنيسة لإقامة القربان (٤) . وفي أثناء هذه الفترة التي رجا تكون قد طالت إلى عشر سنوات (٥) أو أقل قليلاً ، كان القديس مقاره هو وتلاميذه يسافرون باستمرار إلى منطقة القلاي ونتريا لحضور الكنيسة والإشتراك في القربان المقدس .

(2) Ibid. p. 98.

(3) Ibid. p. 185, 311.

(4) Ibid. p. 76.

(5) Ev. White, II, p. 66.

ويقول بالليديوس إن في المدة التي كان يتردد فيها أنبا مقار باستمرار على نتريا، والتي طالت إلى عشر سنوات، اشتهر بين آباء نتريا بالحكمة ورجاحة عقل الشيخ، فلقبوه باللقب الذي اشتهر به بعد ذلك «الشاب الشيخ» = بيداريوجيرون παιδαριόγερων^(٦). وتوجد حوادث وأقوال في سيرته وفي أقوال الآباء تفيد كثرة تردد أنبا مقار على نتريا منذ بدء حياته حتى إلى أواخر أيام حياته.

ومن القصص التي توضح زيارته الأولى لحضور الصلاة في كنيسة نتريا، القصة التي تروي كيف قابل فيها هو وتلميذه كاهناً وثنياً في الطريق يجري نحو المدينة، حيث المدينة هي نتريا (البرنوج)، التي كانت فيها كنيسة نتريا، كما كان فيها هيكل للوثنيين:

[قيل أن أبا مقاريوس المصري ذهب في إحدى المرات من الإسقيط إلى جبل نتريا، ولما اقترب من مكان مُعَيَّن قال لتلميذه: «تقدّمني قليلاً». ولما فعل التلميذ هذا قابله كاهن وثني كان يجري حاملاً بعض الخشب، وكان الوقت حوالي الظهر. فصرخ فيه الأخ قائلاً: «يا خادم الشيطان، إلى أين أنت تجري؟»، فاستدار الكاهن وانهال عليه بضربات شديدة، وتركه ولم يبق فيه سوى قليل نفس (لعله هو يوحنا تلميذ مقاريوس الذي تجذّم بسبب مخالفته لأبيه). ثم حمل الكاهن الوثني ما معه من خشب وسار في طريقه. ولما ابتعد قليلاً، قابله الطوباوي مقاريوس في الطريق وقال له: «فلتصحبك المعونة يا رجل النشاط»، فاندھش الكاهن وأقبل نحوه وقال: «أي شيء جميل رأيته فيّ حتى حييتي هكذا؟». فقال الشيخ: «إني أرى أنك تكذّب وتتعب، وإن كنت لا تدري لماذا». فأجاب الكاهن: «وأنا إذ تأثرت بتحيّتك عرفت أنك تنتمي إلى الإله العظيم، ولكن هناك راهباً شريراً صادفني قبلك ولعني، فضرّبه ضرب الموت». فعرف الشيخ أنه تلميذه. أما الكاهن فأمسك بقدمي مقاريوس الطوباوي، وقال له: «لن أدعك تمضي حتى تجعلني راهباً». وإذ سارا معاً

(6) Hist. Laus., ch. XVII.

وصلا إلى المكان الذي كان فيه الأخ مطروحاً ، وحمله وأتيا به إلى كنيسة الجبل .
أما الإخوة فعندما رأوا الكاهن الوثني مع المغبوط مقاريوس تعجبوا كيف تحوّل
عن الشر الذي كان فيه . وأخذة أبا مقاريوس وجعله راهباً ، وعن طريقه صار
كثيرون من الوثنيين مسيحيين . [٧]

وكان أباً مقاريوس الطوباوي يقول :
«إن الكلمات الشريرة والمتكبرة تحوّل الناس الأخيار إلى أشرار . ولكن الكلام
الطيب المتواضع يحوّل الأشرار أخياراً .» [٨]

كذلك من القصص التي تكشف اهتمام القديس بالذهاب دائماً إلى نتريا لحضور
القدّاسات ، القصة التي ذكر فيها : [جاء مرة القديس مقاره من شيهيت إلى نتريا لحضور
تقدمة القربان للأب بيمن .] [٩]

ويعتقد بعض المؤرخين أن هذا القداس كان مُقاماً تذكّراً لنياحة أنبا بيمن ، ولكن
القصة في ترجمتها اللاتينية المبكرة تفيد بوضوح أنه قداس عادي كان يقيمه أنبا بيمن
بنفسه (١٠) .

كما يعتقد بعض المؤرخين أن ذهابه للإشتراك في القربان المقدس في كنيسة نتريا
يفيد أنه لم يكن قد رُسم كاهناً بعد ، ولكن الحقيقة هي أن مقاره كان باستمرار يشترك
في الأسرار دون أن يقوم هو بنفسه بتقديمها ، حتى وبعد إقامة كنيسة في شيهيت .

ثانياً: زيارته لمنطقة القلاي :

أما زيارته لمنطقة القلاي (نيري أو نيرس) ومكانته الكبيرة بينهم ، فتتضح من

(7) AMEL., AMG, XXV, pp. 211-212.

(8) Ibid. p. 213.

(9) Apoph. Pat., Mac. Aegypt., 11.

(10) Migne PL, LXXIII, Col. 1006.

القصة التي تبدأ هكذا:

[أتى الأب مقاريوس يوماً من الإسقيط إلى نيرس، فقال له الشيوخ: قُلْ كلمة للإخوة أيها الأب. فأجابهم قائلاً: أنا لم أصر بعد راهباً، لكني رأيت رهباناً. فقد كنت يوماً جالساً في الإسقيط في القلاية وإذا أفكارٌ تأتيني قائلة: اذهب إلى البرية الداخلية وتأمل فيما تراه هناك. ومكثت مقاتلاً لهذا الفكر خمس سنوات، ظانناً أنه من الشيطان. لكنني لما وجدت الفكر ثابتاً مضيت إلى البرية. فصادفت هناك بحيرة ماء، وفي وسطها جزيرة، وقد وافت وحوش البرية لتشرب. وشاهدت بينها رجلين مجردين (عاريين)، فجزعتهما، لأنني ظننت أنها روحان. لكنها لما رأياني خائفاً جزعاً، خاطباني قائلين: لا تخزع! فإننا بشريان مثلك. فقلت لهما: مَنْ أنتما؟... ومن أين أنتما؟ وكيف جئتما إلى هذه البرية؟ فقالا لي: «كنا في كنونيون، وقد اتفقنا على ترك العالم فخرجنا إلى ههنا. ولنا منذ مجئنا إلى هنا أربعين سنة». وقد كان أحدهما مصرياً والآخر نوبياً، فسألتهما: كيف أصبح راهباً؟ فقالا لي: إن لم يزهّد الإنسان في كل أمور العالم فلن يستطيع أن يصير راهباً. فقلت لهما: إني ضعيف فما أستطيع أن أكون مثلكما. فقالا لي: إن لم تستطع أن تكون مثلنا، فاجلس في فلايتك وابك على خطاياك. فسألتهما: أما تبردان إن صار شتاء؟ وإذا صار حراً أما يحترق جسداكما؟... فأجاباني: إن الله قد دبر لنا ألا نجد في الشتاء برداً ولا يضرنا في زمن الحصاد حرٌّ. ثم سألاني: كيف حال العالم؟ هل ما زال النيل يصعد في وقته؟ وهل الدنيا بخير كما كانت سابقاً؟ فأجبتهما: نعم.

وأخيراً قال القديس للإخوة: لذلك قلت لكم إني لم أصر بعد راهباً! بل رأيت رهباناً، فاغفروا لي. [(١١)]

(١١) بستان الرهبان طبعة ١٩٥٦ ص ١٥ وما بعدها.

ثالثاً: زيارته الأخيرة لنتريا والقلالي:

ومن القصة المشهورة التي وردت عن زيارة أنبا مقار لنتريا، وهو في أواخر أيام حياته، وقد بلغ التسعين من عمره تقريباً، بدعوة من شيوخ نتريا؛ يتضح بصورة قاطعة أن علاقة أنبا مقار بنتريا والقلالي توطّدت على مدى الأيام، لأن القديس مقار صار بالفعل أب آباء كل نتريا والقلالي وشبهت، وهذا يتضح من الكلمات التي أرسلها شيوخ نتريا إليه:

[حدث مرة أن شيوخ نتريا (البرنوج) أتوا إلى أنبا مقاره يقولون له سر إلينا لنشاهدك قبل أن تنصرف إلى الرب، ولا تضطر الشعب كله إلى المجيء إليك فيمتعبك. فلما سار إلى الجبل اجتمع إليه الشعب كله وطلب إليه الشيوخ قائلين: قُلْ للشعب كلمة أيها الأب. فقال: يا أولادي... لنبك أيها الإخوة، ولتسيل دموعنا من أعيننا، قبل أن نمضي إلى حيث تحرق دموعنا أجسادنا بدون نفع، فلما قال هذا بكى وبكى الكل معه، وخرّوا على وجوههم قائلين: أيها الأب صلّ علينا.] (١٢)

وقد ألقى القديس أنبا مقار في هذه الزيارة خطابه المطول الشهير الذي سوف نفرده مكاناً خاصاً من هذا الكتاب.

٣ - خبر عن زيارة القديس أنبا مقاره للقديس باخوميوس أب الشركة

وفد في بعض الأيام الأب مقاريوس الكبير إلى الأب باخوميوس زائراً وفيما هما يتفاوضان في أقوال الله شاور الأب باخوميوس الكبير مقاريوس قائلاً: أيها الأب عندي ههنا إخوة سيرتهم على غير نظام فتأديبهم جيد هو أم لا. فأجابه الأب مقاريوس: أدب واحكم حكماً عادلاً في الذين تحت يدك فأما على غير هؤلاء فلا لأنه قد كُتب احكموا على

(12) Apoph. Pat., Mac. Aeg., XXXIV.

الداخلين والذين خارج الرب يحكم عليهم (١٣).

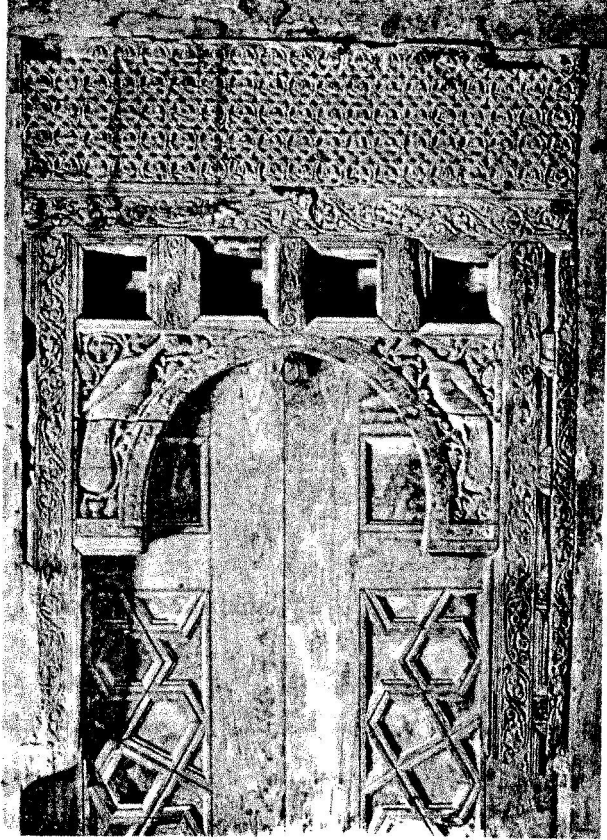
(١٣) المخطوطة العربية المطبوعة لسيرة أنبا باخوميوس، ص ١٣١.

الحصن: كنيسة العذراء،

بالباطن الثاني

صورة باب الحجاب الأوسط
للهيكل الرئيسي، وفيه يظهر
بوضوح رسم طاووسين على
جانبي قائم الباب، ومعروف أن
الطاووس يرمز للخلود.

وإذا دقق الناظر، يجد تحت
ذيل الطاووس كأساً هو كأس
الحياة للدم المقدس الذي تخرج
منه كرمة تمتد حتى منقار
الطاووس الذي يبدو كأنه
يأكل من نمرها. وهذا كله يشير
إلى أن الحياة الأبدية التي نبعث
لنا من كأس دم المسيح لا يزال
يشرب منها الإنسان جيلاً بعد
جيل.



الفصل الخامس

شخصية القديس وصفاته

- ١ - جدِّيَّة القديس وتحفُّظه.
- ٢ - قدرة فدَّة على ستر عيوب الآخرين.
- ٣ - تسامح مرتفع الأبوة.
- ٤ - طول أناة القديس وقصة مكسيموس ودوماديوس.
- ٥ - صرامة القديس مع المتعظِّين بعلمهم.

١ - جدِّيَّة القديس وتحفُّظه

يقول سقراط المؤرخ^(١)، إن فضائل المقارئين كانت متشابهة للغاية إلا هذا الفارق الوحيد، وهو أن مقاريوس المصري كان ذا هيبة، وبنوع ما صارماً مع الذين كانوا يقصدونه، بينما أن مقاريوس الإسكندري كان مَرِحاً جداً في حديثه، لأن المحبة الفائقة التي كانت لمقاريوس المصري من نحو السكون جعلته أقل انفتاحاً وأكثر تحفُّظاً في الحديث. ولكن بالتأكيد لم يكن القديس يُظهر أبداً أي نقص في المحبة تجاه الذين كانوا يلجأون إليه، وإن كانت محبته أكثر جدية، إلا أنها لم تكن أقل وداعة ولا أقل رافة. وليس أدل على ذلك من القول الذي جاء في أقوال الآباء:

[قال الأب بيتر: بينما كان الأب مقاريوس يتبسط مع الإخوة ويتحدث معهم ببساطة قلب وعدم كلفة، بادره أحد الإخوة: «لماذا تعمل في نفسك هكذا؟». فما كان من الأب مقاره إلا أن قال له: «على مدى اثني عشرة سنة وأنا أخدم

(1) Socr., 4:23.

أمام الله طالباً هذه النعمة وأنتم تريدون مني أن أتخلّى عنها الآن ؟» [٢]

٢ - قدرة فذة على ستر عيوب الآخرين

وكان يُقال (٣) أن مقاريوس كان يعيش كإله على الأرض، فكما أن الله يستر على الجميع ويحتمل خطايا البشر، هكذا كان هذا القديس يستر خطايا وعيوب إخوته. بل قيل أنه كان يراها كما لو لم يكن قد رآها، وأنه كان ينصت إلى ما يُقال إليه، وكأنه لم يكن قد سمع شيئاً.

(٤) ويحكى عن القديس مقاريوس، إنه كان في بعض القلايا أخ صدرته أمر شنيع، وسمع به الأب مقاريوس، ولم يرد أن يبكته. فلما علم الإخوة بذلك لم يستطيعوا صبراً، فما زالوا يراقبون الأخ إلى أن دخلت المرأة إلى عنده. فأوقفوا بعض الإخوة لمراقبته، وجاءوا إلى القديس مقاريوس. فلما أعلموه قال: «يا إخوة لا تصدّقوا هذا الأمر، وحاشا لأخينا المبارك من ذلك». فقالوا: «يا أبانا، اسمع وتعال لتبصر بعينيك حتى يمكنك أن تصدّق كلامنا». فقام القديس وجاء معهم إلى قلاية ذلك الأخ كما لو كان قادماً ليُسلم عليه. وأمر الإخوة أن يبتعدوا عنه قليلاً. فما أن علم الأخ بقدوم الأب حتى تحيّر في نفسه، وأخذته الرعدة؛ وأخذ المرأة ووضعها تحت ماجور كبير عنده (الخزير القمح). فلما دخل الأب جلس على الماجور، وأمر الإخوة بالدخول؛ فلما دخلوا وفتشوا القلاية لم يجدوا أحداً، ولم يمكنهم أن يوقفوا القديس من على الماجور. ثم تحدّثوا مع الأخ، وأمرهم بالإنصراف. فلما خرجوا، أمسك القديس بيد الأخ وقال: «يا أخي، على نفسك أحكم، قبل أن يحكموا عليك، لأن الحكم لله». ثم ودّعه وتركه. وبينما هو خارج إذ بصوت أناه قائلاً: «طوباك يا مقاريوس الروحاني، يا مَنْ تشبّهت بخالقك، تستر

(2) Apoph. pat. Mac., Aegypt., IX.

(3) Ibid., XXXII.

(٤) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ١٣٢.

العيوب مثله». ثم أن الأخ رجع إلى نفسه، وصار راهباً حكيماً مجاهداً وبطلاً شجاعاً

٣ - تسامح مرتفع الأبوّة

(٥) وقيل أن راهبين من الإسقيط أثّهما بغلطة، فحرمهما القديس مقاريوس الإسكندري، الأمر الذي جعلهما يصنّمان على العودة إلى العالم. ولما عرف مقاريوس المصري بأمرهما أرسل في إحضارهما، فأكد له أنها بريئان مما نُسب إليهما. وإذا أراد القديس أن يوثّق القديس مقاريوس الإسكندري على هذه الغلطة إذ كان يحبه؛ كان يقول إن هذين الراهبين ليسا هما المقطوعين من الشركة، بل الذي قطعهما. فلما عرف القديس مقاريوس الإسكندري أن القديس مقاريوس المصري قد حرّمه، انطلق من شدة الألم إلى بركة (النترون) حيث نهش البعوض (٦). ولما ذهب مقاريوس المصري إلى البركة قابله وهو في هذا الحال، فدحه لأنه بعد أن حرّمه تعمّق في الوحدة أكثر، بينما صنّم الراهبان الآخران بعد حرّمهما على تركها. وأوصاه أن ينتبه لئلا يتخدع بالشيطان مرة أخرى، وأن يقدم توبة عن الغلطة التي صنعها بعاملة الإخوة بهذه القسوة بدون أن يتأكّد بنفسه من الخطية التي أثّهما بها. فطلب إليه مقاريوس الآخر أن يضع عليه قانون توبة. فلما رأى القديس الهدوء الذي قبّل به مقاريوس الإسكندري التوبيخ، أمره بالبقاء ثلاثة أسابيع فقط بدون أن يأكل سوى مرة واحدة في الأسبوع — الأمر الذي لم يكن سوى نظامه المعتاد.

(٧) ويُنسب للقديس مقاريوس الكبير هذا القول الجميل في وداعته: «الراهب الحقيقي هو الذي يضبط نفسه في كل شيء. فإن كنتم وأنتم في طريقكم لتبكيتم أخ تسقطون في الغضب، فأنتم تُكملون هوى أنفسكم أكثر مما تصنعون الحبة. فتحمّلوا من

(5) AMEL., AMG, XXV, pp. 222-225.

(6) Boll., 15 Jan.

(7) Boll.; Cotel., Vita. Pat. V:4 & 28, III, 87.

هذا الخطأ، لأنه لا يجب أن يهلك الإنسان نفسه في سبيل خلاص آخر» .

(^٨) وله في ذلك قول مأثور؛ قال الأب مقاريوس: «إن كنت في حال ردعك غيرك تحرد وتغضب، فأولى بك أن تشفي أملك أولاً، لأنه لا يليق أن تهتك نفسك لتخلص غيرك» .

(^٩) ولما تضاع القديس مقاره، الذي يُقال أنه كان يلبس الإضجاع كالثوب بواسطة روح الله، أراد أن يتعلم من راهب شاب في الإسقيط يُدعى «زكريا» عن ما هو واجب الراهب. فأجابه زكريا: «أي يعامل الإنسان نفسه بشدة في كل شيء» .

(^{١٠}) (حيث أن القانون الأول للمسيحية هو المحبة)، فإنه يُذكر عن القديس مقاريوس أنه لما قصد رؤية متوحد ووجده مريضاً ولم يكن عنده شيء في القلاية، فسأله عما يريد أن يأكل، أجابه إنه يتمنى أن يأكل قليلاً من الحلوى، فذهب القديس المملوء من كل سخاء المحبة، مسرعاً إلى الإسكندرية وأحضر له منها ما يتمناه .

(^{١١}) ويُذكر عن وداعة القديس مقاره ما حدث أثناء ذهابه ذات مرة من الإسقيط إلى جبل نتريا وأمره لتلميذه أن يتقدمه قليلاً ومقابلته للكاهن الوثني، ودعة حديثه معه الأمر الذي قاده في النهاية أن يصير راهباً (كما ورد في القصة المنشورة في الفصل الرابع: علاقة القديس مقاره الوطيدة بنتريا) .

٤ — طول أناة القديس، وقصة مكسيموس ودوماديوس

حدثنا الأب بيچيمي أن بافنوتيوس تلميذ أنبا مقاره قال له :

(٨) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ١٣١. AMEL., AMG, XXV, p. 217.

(9) Boll.; Cotel., Vita. Pat. III, 127; Apoph. Pat., Mac. Aeg., XXXIX.

(10) Ibid.

(11) Ibid.

قال الأب مقاره:

[حدث يوماً وأنا جالس بالإسقيط أن أتاني شابان غريبان. أحدهما متكامل اللحية، والآخر قد بدأت لحيته. فقالا لي: «أين قلاية الأب مقاره؟» فقلت لهما: «وماذا تريدان منه؟» أجاباني: «نريد مشاهدته». فقلت لهما: «أنا هو». فصنعا مطانوه وقالوا: «يا معلم، نشاء أن نقيم عندك». فلما وجدت أنها في حالة ترف ومن أبناء نعمة وغنى، أجبتهما: «لكنكما لا تحتملان السكنى ههنا». فأجابني الأكبر قائلاً: «إن لم نحتمل السكنى ههنا فإننا نمضي إلى موضع آخر». فقلت في نفسي: «لماذا أنا أطردهما؟ أنا أتركهما لعل شيطان التعب يشككهما في ما عزما عليه». فقلت لهما: «هلما فاصنعا لكما قلاية إن قدرتما». فقالوا: «أرنا موضعاً يصلح». فأعطيتهما فأساً ومقطفاً وكذلك قليلاً من الخبز والملح، وأريتهما صخرة صلبة (صخرة شبيهة المشهورة الآن بقارة أولاد الملوك). وقلت لهما: «إنحنا هنا لكما مغارة، وأحضرا لكما خصاً من الغابة وسقفاً واجلسا»، وتوهمت أنها سوف ينصرفان من شدة التعب. فسألاني: «وماذا تصنعون ههنا؟» فقلت لهما: «إننا نشتغل بضمير الخوص». وأخذت سعفاً وأريتهما بدء الضفيرة وكيف تُخاط، وقلت لهما: «اعملا زنا بيل وادفعاهما إلى الحفراء ليأتوكما بخبز». وعرفتُهما ما يحتاجان من معرفة، ثم انصرفت عنها أما هما فأقاما ثلاث سنوات ولم يأتيا في. فبقيت مُقاتِل الأفكار من أجلهما إذ لم يأتيا إليّ ولا سألا في شيء. ولم يحاولا الكلام مع أحد قط، ولم يبارحا مكانها إلا كل يوم أحد فقط، حيث كانا يمضيان إلى الكنيسة لتناول القربان وهما صامتان. فصليت صائماً أسبوعاً كاملاً إلى الله ليعلن لي أمرهما. وبعد الأسبوع مضيت إليهما لأفتقدهما وأعرف كيف حالهما؛ فلما قرعت الباب عرفاني وفتحاً لي وقبلاًني صامتين؛ فصليت وجلست. وأوماً الأكبر إلى الأصغر بأن يخرج، أما الأكبر فجلس يضمفر في الضفيرة ولم يتكلم قط، فلما حانت الساعة التاسعة، أوماً إلى الشاب فأتاه؛ وأصلحاً مائدة وجعلاً عليها ثلاث خبزات بقسماطات (كانت هي

الخبز المعتاد لرهبان مصر) وداما صامتين . فقلت لهما : « هيا بنا نأكل » . فنهضا وأكلنا ، وأحضرا كوز ماء فشربنا . ولما حان المساء ، قال لي : « أنتصرف ؟ » فقلت لهما : « لن أنصرف ، لكنني سوف أبيت ههنا الليلة » . فبسطا حصيرة في ناحية وبسطا أخرى لهما في ناحية أخرى ، وحلاً إسكيميئهما ومنطقتيهما ورقدا أمامي على الحصيرة . فصلّيت إلى الله أن يعلن لي ماذا يعملان . وإذا كنت راقداً ، ظهر فجأة في القلاية ضوء كضوء النهار — وكان سقف القلاية قد انفتح — وكانا يشاهدانه . فلما ظنّا أنني نائم ، نخس الأكبر الأصغر وأقامه ؛ وتمنطقا وبسطا أيديهما إلى السماء ، وكنت أراهما وهما لا يبصراني وإذا بي أرى الشياطين مقبلين نحو الأصغر كالذباب ؛ فمنهم من كان يريد أن يستقر على فمه ، ومنهم من كان يريد أن يستقر على عينيه ؛ فرأيت ملاك الرب حاملاً سيفاً نارياً وهو يحيط بهما ويطرد الشياطين عنهما . أما الأكبر فلم يقدروا على الإقتراب منه . وما أن حان الفجر حتى وجدتهما وقد انطرحا على الأرض وناما . فتظاهرت كأني استيقظت ، وهما كذلك . فقال لي الأكبر هذه الكلمة فقط : « أشاء أن نقول الإثني عشر مزموراً ؟ » فقلت : « نعم » . فقرأ الصغير خمسة مزامير ، وفي نهاية كل مزمور ست آيات (من مكان آخر في الكتاب المقدس) ، وهللوا ؛ ومع كل كلمة كان يقولها ، كان يبرز من فمه شهاب نار يصعد إلى السماء ؛ كذلك الكبير إذ كان يفتح فمه ويقرأ ، كان مثل جبل نار خارجاً وصاعداً إلى السماء . فلما انقضت الصلاة انصرفت قائلاً : « صلّيا من أجلي » . فصنعا لي مطانية وهما صامتان . وبعد أيام قليلة تنيح الأكبر وفي ثالث يوم تنيح الأصغر كذلك .]

ولما كان الآباء يجتمعون بالأب مقاره ، كان يأخذهم إلى قلايتهما ، ويقول : « هلموا نعاين مكان شهادة الغرباء الصغار . » (١٢)

(١٢) هذه التسمية تعني هيكلاً صغيراً مُقاماً فوق أجساد مقدسة وتسمى مارتيريا μαρτυρία باللغة اليونانية ولا يستلزم ذلك أن تكون أجساد شهداء .

وقد فسّر القديس فيلوكسينوس في كتابه المعروف بتفسير البراديسوس، صفحة ٦٠، مسلك هذين الأخوين، ولماذا لم يفضيا إلى القديس مقاريوس في الإسقيط ثلاث سنوات، فقال: «لأن الكبير كان عاملاً كاملاً متضعاً، ولو كان قد مضى إليه لظهر كماله فكان يمجّده، وأما الصغير فكان يتعلم من الكبير».

٥ - صرامة القديس مع المتعظمين بعلمهم

(١٣) [جاء مرة الراهب أغريس (إيفاجريوس البنطي الأوريجاني) إلى القديس أنبا مقار وسأله كلمة منفعة، فقال له أنبا مقار: إذا قلت لك، هل تسمع لي؟ (لِعلمِ القديس أن هذا الراهب متمسك بحكمته). فقال أغريس: إن إيماني بك ومحبي لك أنت تعلم بهما! فقال له أنبا مقار: إنك حقاً تحتاج أن تترنّن بالفضيلة، ولكن الأحسن لك، إن كنت تستطيع، أن تطرد عنك فخر الحكمة العالمية وتتمسك باتضاع العشار، وأنت تحيا. فقال أغريس: إنه لما قال لي هذا عملت له مطانية وانصرف، وكنت أقول في نفسي إن أفكاره مكشوفة لأنبا مقار رجل الله، وكنت في كل وقت أقابله أرتعد من حكمه الذي سمعته منه.] (١٤)

(13) AMEL., AMG, XXV, p. 157.

(١٤) وهنا تنكشف حقيقة الراهب أوغريس الأوريجاني على حقيقتها بكل وضوح وبلا مواربه.

الفصل السادس

الحياة التقشفية للقديس مقاره

- ١ - الخبز بالوزن والماء بالكيل .
- ٢ - جسم نحيل ووجه شاحب من شدة مخافة الله .
- ٣ - محبة العوز .
- ٤ - يعمل بيديه وبيع شغلته بنفسه و يشتغل كأجير .
- ٥ - صيام يوم عن كل كأس نبيذ حتى لا يُطل عمل المحبة .

١ - الخبز بالوزن والماء بالكيل

يقول باللاديوس (١):

[من العيث أن نتكلم عن امتناع القديس مقاره عن الأكل والشرب، ما دام أن أكثر الرهبان تهاوناً وأكثرهم قرباً من الأماكن المأهولة لم يسلّموا أنفسهم لسيطرة الشره. وهذه الرذيلة بالأكثر هي غير معروفة في البرية، لندرة الأشياء وبسبب الغيرة الإلهية التي تُلهمهم وتدفعهم إلى أن يتفوّقوا جميعاً في مختلف أنواع التقشّفات التي كانوا يمارسونها].

وإن في قصة عنقود العنب (٢) الذي دار على جميع الإخوة في البرية دون أن يُفقد منه حبة واحدة، لأعظم برهان على مستوى التقشّف العجيب الذي كان يسود على البرية، بفضل تعاليم القديس مقاريوس ونموذج حياته .

(1) Laus., Ch. 19.

(2) Apoph. Pat., 25.

وأورد هذه القصة سقراط (٣)، عن إيفاجريوس البنطي الذي تتلمذ على القديس مقاريوس الإسكندري (حوالي عام ٣٨٥ م). يقول إيفاجريوس :

[كنت ذات يوم في صحبة القديس أنبا مقار الكبير في ساعة الظهيرة. وبينما كنت أتحرق من شدة العطش استأذنت منه لأشرب ماءً. فأجابني : اكتف بالبقاء في الظل ، لأنه يوجد الآن كثير من الناس مسافرون بالبر أو بالبحر ومحرومون حتى من الظل المتوفر أمامك . وبينما كنت أحدثه عن الإماتة ، قال لي : لقد أمضيت عشرين عاماً كاملاً لم أكمل إرادتي في الأكل والشرب والنوم ، فما كنت أتناول الخبز إلا بقدر ، والماء كنت أشربه بالكيل ، أما النوم فكنت أسترق القليل منه باستنادي على الحائط على قدر حاجة الجسد .] (٤)

[وكان تدبيره العادي أنه لا يأكل سوى مرة واحدة في الأسبوع .]

٢ - جسم نحيل ووجه شاحب من شدة مخافة الله

(٥) وكان وجهه وجسمه (النحيل) يكفيان لإظهار شدة تعفّفه ونسكه ، مع أن الأصوام لم تكن هي السبب الوحيد لنحافة جسده ، بل هذا أيضاً كان نتيجة لمخافة الله التي امتلأت بها نفسه فأضمرت ، بل وأحرقت ، بنوع ما ، كل جسده (٦).

٣ - محبة العوز

جاء بعض النساك مرة ليروه في الإسقيط ، فلم يجدوا في قلايته أي شيء من متاع الدنيا . وحتى الماء الذي يشرب منه وجدوه منتن الرائحة ، فأرادوا أن يأخذوه إلى بلده لأجل تقويته (وتزويده بالأمور الضرورية) ، ولكنه عرفهم جيداً بأنه يحب هذا العوز ،

(3) Socrates, Ecc. Hist., IV, XXIII.

(4) Boll., 15 Jan.

(5) AMEL., AMG, XXV, p. 205.

(6) Vit. Pat., 5:3.

وأنه لو كان يريد تلك الضروريات، فإنه يعلم جيداً أين يطلبها بدون الإلتجاء لطلب معونتهم.

٤ — يعمل بيديه، وبيع شغله بنفسه، ويشغل كأجير

وكان يعمل طول النهار في قطع الخوص (٧). ويظهر بالأكثر تقشّفه واتضاعه في أنه كان يحمل بنفسه من الإسقيط القفف والمقاطف التي كان يصنعها، لبيعها في ترنوت على ضفة النيل. ومرة وجد نفسه متعباً تحت هذا الثقل، حتى إنه اضطر إلى أن يجلس على الأرض، وإذ كان ما يزال بعيداً عن النهر خاطب الله قائلاً (٨): [يا رب أنت تعلم أنه ما عاد فيّ قوة. وللوقت وجد نفسه على شاطئ النهر]. ومعروف أن القديس مقاريوس كان ينزل كل سنة مع النسّاك في زمان الحصاد ليعمل كأجير في الحقول ليبتاع قوّته.

٥ — صيام يوم عن كل كأس نبيذ

(٩) ولوحظ أيضاً عن القديس مقاريوس أنه حينما كان يأكل مع النسّاك كانوا يقدمون له بعض النبيذ، فكان يشرب ما يُقدّم له، ولكنه بعد ذلك كان يضع على نفسه قانوناً بأن يصوم عن الماء أياماً بقدر عدد أقذاح النبيذ التي شربها. وبهذا بينما كان الإخوة يُسرّون بأن يقدموا له ظانين أنهم يشدّدونه، كان هو يأخذ منهم لتكون فرصة أكثر للإماتة. ولكن تلميذه لما لاحظ أسلوبه هذا، استعطف الآخرين ألا يقدموا له نبيذاً، لأنهم كانوا يسببون له بهذا تعباً. ومنذ ذلك الحين امتنعوا عن تقديم النبيذ له.

* * *

(7) Vit. Pat., 3:212, 6:2.

(8) Boll., 6.

(9) Apoph. Pat., Mac. Aegypt., X. & AMEL., AMG, XXV, p. 206.

وكاسيان رأى أن أفضل خاتمة لكتابه الخامس هي أن يذكر هذه النصيحة عن القديس مقاريوس: [يجب على الناسك أن يجتهد في الصوم، كما لو كان متأكداً أنه سيعيش مائة عام؛ وأن يضبط شهوات نفسه ويتناسى الإهانات ويقاوم الكآبة ويحتمل الأتعاب والآلام، كما لو كان سيموت في اليوم نفسه]. فالفكرة الأولى تجعل الناسك حكيماً حاذقاً، وتجعله يحرص على الانتظام الصارم في النسك بدون أن يسمح لنفسه بالتهاون، بحجة ضعف الجسد؛ بينما اعتبار الموت القريب يلهمه السمو الروحي بالإيمان الذي لا يقتصر على احتقار راحة الدنيا فقط، بل ويجعله راسخاً في احتمال المشقات لأنه سيثبت قلبه ونظره دائماً إلى السماء نحو المكان الذي يترقبه كل حين، مؤمناً أنه سوف يُدعى إليه .

أما كلام القديس مقاره نفسه فيكشف بكل وضوح قيمة ودرجة التقشف الذي كان يعيشه، ففي النسخة العربية لكتاب بستان الرهبان، يقول القديس في وصية لأولاده (١٠): « إن الراهب الذي يقني أكثر من جبة لا يساوي عند المسيح جبة، لأن محبّي المسيح الذين تركوا نعيم الدنيا ولذاتها تصبح منزلة العالم عندهم كمنزلة العُوَيْد الصغير، فلا يتألمون على فقد شيء منه . إن الإنسان الذي يأسف على فقدان شيء منه فليس بكامل بعد . فإن كنا قد أمرنا أن نرفض أنفسنا وأجسادنا، فكم بالحري المقتنيات ؟ إن الشياطين تحترق بهذه الفضيلة وأمثالها عندما يرون إنساناً غير ملتفت إلى الأشياء وليس بتأسف عليها إذا فقدها، لا سيّما إذا علموا أنه يمشي على الأرض بغير هَوَى أرضي » .

(١١) وقال بعض الآباء للقديس مقاريوس: « هوذا جسدك قد يبس من قِلّة الأكل والصمت ». فأجابهم الشيخ: « حسناً، فإنه مكتوب قد يبست عظامي (من زفيري اليوم كله)، فإن الشجرة إذا قبلت قوة النار في طبيعتها، فإنها تجف ثم تشتعل ؛ وهكذا إذا قِيلَ

(١٠) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ٢٢.

(11) Apoph. Pat., II, p. 294, S. 352.

قلب الإنسان خوف الله فإنه يتنقّى، إذ تجف الشهوات من طبيعة الجسد (وحينئذ يشتعل بحب الله)».

(١٢) أما وجهة نظر القديس مقاره في أهمية التّقشّفات الجسدية بالنسبة للحياة الروحية، فتظهر من قوله: «اسع لكل نوع من الإماتة، فإذا لم يكن لك الإماتة التي بالروح فاسع إلى إماتة الجسد، حينئذ تُعطى لك التي بالروح، فموت عن كل إنسان؛ وحينئذ تستطيع أن تصل إلى موهبة الوجود الدائم مع الله في السكون».

(١٣) ولم يقتصر التقشف عند القديس مقاره على الأكل والشرب فقط بل على كل شيء... حتى على اقتناء الكتب الروحية نفسها. فقد [حكي عن القديس أن أتاه الأب ثيودور البرامي^(١٤) (الذي كان يمتلك بعضاً من الكتب الثمينة) وقال له: «يا أبي عندي ثلاثة كتب ذات منفعة لي، كما أن الإخوة يستعيرونها مني وينتفعون بها أيضاً، فالآن أخبرني ماذا أعمل بها؟» فأجابه الشيخ: «إن أعمال النسك حسنة، لكن أعظمها جميعاً هو الفقر الإرادي». فلما سمع أباً ثيودور هذا الكلام ذهب، وباع الكتب وأعطى ثمنها للفقراء].

وقصة اللصوص الذين سرقوا قلايته فساعدهم هو بنفسه على سرقتها دليل عملي على ذلك.

وعلى مدى أقوال الآباء وسيرهم يلحظ القارئ بسهولة صورة هذا الأب الفاضل المجاهد، تارة حاملاً خوصه من البهلس إلى قلايته^(١٥)، وتارة حاملاً قفقه وسائرأ بها لبيعها في ترنوط (سوق شيهات) على سفريومين^(١٦)، وتارة نازلاً مع الإخوة (الأب

(12) Apoph. Pat., p. 252, S. 172.

(13) Apoph. Pat., p. 46, S. 161.

(١٤) ويسمى خطأً ثيودور الفرمي، ولكنه ليس من الفرما بل من البراما وهي منطقة الأهرامات بالجيزة الآن.

(15) Apoph. Pat., Mac. Aegypt. IV.

(16) Apoph. Pat., Mac. Aegypt. XIV.

شيشوي هنا هو الرواي) ليعملوا قَعلة في حصاد القمح^(١٧)!! حتى وفي زيارته لأنبا أنطونيوس، وفي نفس ليلة وصوله جلس يجدل الضفيرة حتى الصباح، وكان محصول عمله ضعف محصول أنبا أنطونيوس، مما أدهش الأب الكبير أنطونيوس وجعله يُقبَل يدي مقاريوس ويقول: إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين!!

(١٨) ويدعو القديس فيلوكسينوس المنبجي أولاده أن يذكروا نسك الطوباني أنبا مقار، أنه مدة عشرين سنة لم يشبع هذا المجاهد لا من خبز ولا من ماء ولا من نوم. كمثّل ما قال: «خبزي كنت آكله بالميزان، ومائي كنت أشربه بالكيل. وكنت أخطف قليلاً من النوم وظهري مسنود للحائط. وهكذا كنت أستيقظ». ثم يتساءل: أي أجر صار للطوباني مقاريوس من هذا النسك المتعب؟ إنه صار إلهاً ثانياً على الأرض بين الناس، لأنه كما أن الله يظلل على الشعب، هكذا هو أيضاً كان يحتمل سقطات وضعفات البشر.

كما فسّر القديس فيلوكسينوس أيضاً كلمات القديس مقاريوس الكبير: «إن كان ليس لك الإماتة التي بالروح، فاسع إلى إماتة الجسد وحينئذ تُعطى لك تلك التي بالروح». فقال: «أي إن كنت ما وصلت أن تهتم بالله وبخياراته بعقلك، فاحرص في الأول أن تبعد من الناس بجسدك ولا تتكلم مع الأفكار الشريرة التي تتحرك فيك. وهذا كقول أنبا إشعيا: إن الهدوء يلد الهدوء، يعني أن هدوء الجسد يلد هدوء الذهن، وإن كنت ما تقدر أن تصلي صلاة روحانية، فاحرص أن تقتني صلاة نقية من قلب نقي، فإن كنت ما وصلت إلى هذا، فاحرص في هدوئك على خدمة المزامير وتكجيل الصلوات السبع، بالمطانوات الكثيرة».

(17) Apoph. Pat., Mac. Aegypt. VII.

(١٨) مخطوطة رقم ١٨ (مصورة).

الفصل السابع

محبة القديس للصلاة والوحدة

- ١ - في حالة دهش مستمر.
- ٢ - وجود دائم في الحضرة الإلهية.
- ٣ - مغارة سرية للخلوة.
- ٤ - الهروب من الكلام.
- ٥ - الهروب من الناس.
- ٦ - الابتعاد عن المجاملات.
- ٧ - نصيحة العمر.
- ٨ - الخدمة عدو الوحدة.
- ٩ - الطموح مبدد لهدوء الوحدة.
- ١٠ - طياشة الفكر تمكّر صفو الوحدة.
- ١١ - تهيئة النفس للوحدة.
- ١٢ - الصبر هو قوة الوحدة.
- ١٣ - عنزة اللسان تفسد الوحدة.
- ١٤ - أنظر إلى فوق دائماً.

١ - في حالة دهش مستمر

(١) كل تقشّفات الجسد كانت شيئاً قليلاً بالنسبة لهذا الرجل السماوي ، الذي ما كان يُرى إلاّ منجذباً بلا توقّف خارجاً عن نفسه (حالة دهش إلهي) ، وكان يتحدث مع الله أكثر مما كان يُفكر في كل ما هو تحت السماء (٢). وإذ طلب بعض الرهبان من

(1) Laus. Hist., 19.

(2) AMEL., AMG, XXV, p. 220.

القديس عن أي طريقة للصلاة، أجابهم: [ليس هناك حاجة إلى كلام كثير، بل يكفي أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وتقولوا: «يا رب اصنع معي رحمة. واهدنا كما تريد وكما تحب». وإن أصابتنا ضيقة قلنا: «يا رب أعنا». وتحت ضغط التجربة نقول: «يا إلهي أنت تعلم جيداً ما يلزمنا». وهولن يتأخر عن معونتنا].

٢ - وجود دائم في الحضرة الإلهية

وكان يقول أحياناً: «إن كنا نتذكر الإساءات التي صنعها بنا الناس فإننا نحرم أنفسنا من القدرة على ذكر الله، ولكن بقدر ما نتذكر الإضطهاد الذي يوجّهه ضدنا الشيطان، بقدر ما لا يمكن لأي شيء أن يفصلنا عن الحضرة الإلهية». ويظهر أن هذا هو موجز الحديث الذي كان بين القديس وبين إيفاجريوس، كما سنبينه فيما بعد.

٣ - مغارة سرية للخلوة

نجد دليلاً واضحاً على حبه للصمت والصلاة بما سنورده (٣): لما كانت شهرته تجذب نحوه زيارات كثيرة، لم يجد أي وسيلة للخلاص منها سوى أن يحفر بشخصه، وفي وقت طويل، طريقاً تحت الأرض يصل بين مغارته إلى مغارة بعيدة، كانت تبعد عنها نصف ميل. فعندما كان يجد الناس يزعمونه، كان يذهب سراً من قلايته إلى هذه المغارة بدون أن يستطيع أحد معرفة مكانه. وقد ذكر أحد تلاميذه أنه كان يتلو في أثناء ذهابه ٢٤ صلاة ومثلها في الإياب.

٤ - الهروب من الكلام

(٤) وبنفس روح الخلوة هذه، بعد انصراف الإخوة من صلاة القديس قال لهم:

(3) AMEL., AMG, XXV, p. 76; Laus. Hist. (Robert Mayer), p. 57.

(4) Cotel; Vit. Pat., 5:4:27 & AMEL., AMG, XXV, p. 216.

«اهربوا يا إخوة». فأجابه واحد منهم: «وإلى أين يجب أن نهرب في هذه البرية؟ هل يوجد مكان أبعد من هذه البرية؟». فوضع القديس أصبعه على فمه قائلاً: «من هذا يجب أن نهرب». وللوقت انصرف إلى قلايته وأغلق الباب ومكث وحده.

٥ - الهروب من الناس

(٥) طلب الأنبا إشعياء من القديس أن يقول له كلمة تعليم، فلم يقل له سوى هذا: «إهرب من الناس». فلما سأله إشعياء: «وما هو الهروب من الناس؟»، أجابه: «هو جلوس الإنسان في القلاية، وبكاؤه على خطاياها، وكراهية الميل البشري للحديث؛ وأولى الفضائل هي ضبط اللسان والبطن على السواء».

٦ - الابتعاد عن المجاملات

جاءه الأنبا موسى يقول له إنه يشاق إلى حياة الوحدة والسكون، ولكن افتقاد الإخوة له يمنعه من ذلك، ولتواضعه الطبيعي ما كان يرفض كل مَنْ يطلب أن يراه. فأوصاه القديس أن يعتزل إلى برية أبعد، هي بترا Petrae (٦)، ففعل موسى هكذا ووجد النياح الذي كان يتوق إليه (٧). وإن الأنبا موسى هذا، هو رئيس اللصوص الشهير والذي اشتهر بالأكثر بالتوبة والرجوع. وبذلك أصبح الكنيسة مدينة للقديس مقاره بالفضل الذي نالته من الأنبا موسى.

(٥) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ٢٥٢. Boll.; 15 Jan; Vit. Pat., 3:189.

(٦) يوجد مكانان بإسم بترا: الأول: هو صخرة شبيهة، وهي تبعد قليلاً عن دير البراموس الآن، والثاني: صخرة شبيهة المدعوة صخرة مقاريوس وهو موضع دير أنبا مقار الحالي.

(7) AMEL., AMG, XXV, p. 217.

٧ — نصيحة العمر

(٨) وقد ثبتَّ الله القديس مقاره في محبته للخلوة عن طريق مقابلة ربِّها الله له مع راهبين متوحدين صادفهما في البرية الجوانية، ونصحاها بالجلوس في السكون وحده. وقد ذكرها القديس بنفسه عندما ذهب من الإسقيط إلى نتريا لحضور الذبيحة التي كان يقدمها القديس بامو (الذي تنيح عام ٣٧٦ م) (٩) ويقول آخرون إنه جاء فقط إلى دير بامو في يوم كانت تُرفع فيه هذه الذبيحة.

وإنه لِيُتَعَجَّبَ جداً من اتضاع هذا الإنسان الإلهي الذي صار في كهالٍ عظيم. غير أنه كان يعتقد دائماً بوجود فضائل أعظم من فضيلته وقدرات أعظم من قدرته.

ولكي يعزي القديس أنبا مقار الإخوة (١٠) (ويثبتهم في محبة الخلوة مبنياً لهم كيف أن الشيطان يرهبا) ذكر لهم أن أمّا قد أحضرت إلى قلايته ابناً تسلط عليه الشيطان. فكان هذا الولد يقول لأمه: «هلم نقوم ونذهب من هنا». ولما كانت تجاوبه أنها ما تقدر أن تمشي قال لها: «سأحلك». وعلق القديس على هذا بقوله: «كنت مُعجَباً بالمهارة التي كان يحاول بها الشيطان أن يطردهم من هنا».

٨ — الخدمة عدو الوحدة

(١١) وإذ يريد أن ينفي الإغراء الذي كان يراود بعض الرهبان بأن يتركوا سكوتهم ليعظوا الآخرين بحجة أن في هذا ربحاً أعظم، كان يشبِّههم بـ «حلاّق» كان يقتصد قليلاً كل يوم لأن الناس في المكان الذي كان فيه كانوا يدفعون قليلاً ثمناً لحلاقة الرأس. ولما طمع في ربح أكثر، ذهب إلى مكان آخر كانوا يدفعون فيه أكثر. ولكنه

(8) Ibid., p. 218-220.

(9) Vit. Pat., 6:3:4.

(10) Boll., 15 Jan., Vit. P., 5.18 & 18.

(11) Cass.; Coll. XXIV, 13.

وجد هناك أن المعيشة مرتفعة جداً، فلم يستطع أن يقتصد شيئاً لأنه بالكاد كان يكفي معيشته .

٩ - الطموح مبدد لهدوء الوحدة

(١٢) وفي حديث له مع أحد المتوحدين ، الذي جاءه حزينا لأنه سمع بعذراء تصلي كل يوم بعدد صلوات أكثر منه . فقال له القديس مقاره : « لقد عشت حتى الآن ستين سنة في النسك ، ولا أصنع سوى خمسين صلاة في اليوم ، وأعمل ما يكفي لحصولي على حاجتي من الطعام ، وأستقبل الإخوة الذين يأتون إليّ ، وأقول لهم ما يناسبهم ، وأدفع ديوني ، ومع ذلك فإن فكري لا يدينني كإنسان يستهين بالله . أما أنت الذي تصنع ثلاثمائة صلاة في اليوم أتلومك أفكارك ؟ فيما أنك لا تقدّمها بطهارة (قلب) ، أو أنك قادر أن تقدّم أكثر منها ولا تفعل ! » .

١٠ - طياشة الفكر تعكّر صفو الوحدة

(١٣) وقال أيضاً : « إذا أقدمت على الصلاة فاحرص أن تكون ثابتاً لئلا تسلّم إناءك بيد أعدائك ، لأنهم يشتهون اختطاف آيتك التي هي أشواق نفسك ، وهي الأشواق الصالحة التي يجب أن تخدم بها الله نهائياً وليلاً ، لأن الله لا يطلب أن تمجده بشفتيك فقط بينما تطيش أفكارك بأباطيل العالم ، ولكنه يريد ألا توقف نفسك أمامه وأفكارك تنظر إليه بدون التفات » .

(12) Apoph., 295, S. no. 355.

(١٣) بستان الرهبان ، طبعة ١٩٥٦ ، ص ٧٠ وما بعدها .

١١ - تهيئة النفس للوحدة

(١٤) وأيضاً عن السكون يقول القديس: «ضع همك كله في أن تطلب الله وأن تنجو من أيدي أعدائك. فالآن، يا رجل الله، إن وضعت في قلبك أن تقتني الوحدة فهيئ ذاك لها، واصبر على المسكنة، فإن الوحدة والمسكنة عظيمتان، وليس شيء من المواهب يساويها في القدر والكرامة لأنها يُقَرَّبان إلى الله، كما لا تُحصى المواهب الموجودة داخلها لأنها يفوقان جميع الفضائل، وهما في وسط جميع المواهب يتلألآن، لأنها مصدر أعمال القديسين، وجميع القديسين وجدوا الله فيها، وكشفت لهم الأفكار، فوهبهم الله قلوباً نقية، وهم في المسكنة والوحدة جياع عطاشى، هؤلاء الذين لم يستحقهم العالم، تائهين في البراري والقفار والمغائر وشقوق الأرض. هؤلاء الذين لهم هذه الشهادة الجليلة قد وجدوا الله في الوحدة، وبالمسكنة والصبر، لأن مجد الوحدة غير محدود، ورجاؤها وفرحها هو الله، وهي العزاء في الفقر والمسكنة. غذاؤها الصبر، وخدمتها الكاملة هي الطهارة، وفرحها هو الإبتضاع. هي التي لا يفسدها سوس ولا يتدنس لها ثوب لأنها ساكنة في الطهارة».

١٢ - الصبر هو قوة الوحدة

(١٥) سأل أخ الأب مقاريوس عن الوحدة فأجاب الشيخ وقال: إن كنت حقاً تريد السكنى في الوحدة، فاصبر لها ولا تؤدّ عملك يوماً في الداخل ويوماً في الخارج، ولكن اصبر لها باتضاع، والله الصالح يؤازرك. لا توجد سبباً للخروج عن الوحدة حتى ولوليم واحد، بل اثبت في مسكنك لتذوق حلاوتها، ولا تبطئ خارجاً لئلا تجذب إليك المضاد وتتجدد عليك أتعابك وتحرم من الصبر. لا تبطئ خارج قلانتك لئلا تجد أتعابك قدّامك عند رجوعك، فتتعبد جداً في حربك ويصعب انتصارك. يا رجل الله حتى متى تدوم لك

(١٤) شرحه.

(١٥) المرجع السابق ص ٧١.

هذه الأتعاب ؟ اصبر للمسكنة، وعزاء الوحدة يأتيك من قِبَل الله . لا تضيّع يوماً واحداً ،
ونعمة الوحدة وحلاوة المسكنة تصيران لك عزاء ، ويعطيك الله سعادة في مسكنك .

١٣ - عثرة اللسان تُفسد الوحدة

(١٦) وقال أيضاً: «يجب على الراهب أن يكون في سكون كل حين ، ولا يسمع
لأفكاره التي تُوعز إليه بكثرة الكلام الذي يُضعف النفس ، بل ليمسك عن الكلام حتى
ولو نظر أناساً يضحكون أو يتحدثون بكلام لا منفعة له وذلك لجهلهم . لأن الراهب
الحقيقي يجب أن يتحفظ من لسانه ، كما هو مكتوب في المزمور: «اللهم اجعل لفمي
حافظاً وعلى شفوتي سترأ حصيناً» . فالراهب الذي يسلك هكذا لا يعثر أبداً بلسانه ،
ولكنه يصبح إلهاً على الأرض» .

١٤ - أنظر إلى فوق دائماً

ومن تعاليم القديس مقاريوس التي لقَّنها للراهب ثيؤيميتس ، الذي كان قد استولى
عليه الشيطان : «إذا داهمتك التجربة ، فلا تخفض عينيك إلى الأرض ، ولكن ارفعها
باستمرار إلى فوق ، والرب يعينك في الحال .» (١٧)

(١٦) المرجع السابق ص ٧٢ .

(17) Apoph. Pat., Mac. 111.

الفصل الثامن

نبوّات ورؤى القديس مقاره

قلنا من قبل إن الله أعطى القديس مقاره المصري منذ سن الأربعين السلطان على الشياطين وموهبة شفاء المرضى، وروح النبوة. ويسهل علينا أن نورد أدلة على كل هذه الأمور:

[كان للقديس تلميذان في الإسقيط، أحدهما يعيش متوحداً في فلايته الخاصة والآخر اسمه يوحنا يعيش بجواره لخدمة المرضى وعمل واجبات الضيافة للذين يقصدون القديس. وبعد فترة من معيشتها معاً، إذ كان القديس مقاره يرى بالاستنارة الداخلية ما كان مخفى عن الآخرين، خاطب القديس تلميذه يوحنا قائلاً: «اسمع مني يا أخي واحتمل مني رأياً قد ينفعك. إنك مُجَرَّبٌ بشيطان الطمع وحب المال لأني رأيته فيك، ولكن إن قبلت نصيحتي وأخرجته من قلبك فإنك تُكَمِّل عمل الله بالكمال في هذا المكان، وتصير في النهاية مُمَجِّداً، فلا تقترب إليك تأديبات الله. أما إن كنت لا تسمع لي فإنك ستسقط فيما سقط فيه جيحزي لأن مرضه فيك. » (١)

وقد تم ذلك فعلاً. فبعد موت القديس مقاره رُسم يوحنا كاهناً في مكانه ونسب قول القديس له، وعوضاً عن وصاياه تبع إحياءات ذاك الذي دفع يهوذا أن يشنق نفسه بسبب حبه للمال، فأخذ ما هو مُخَصَّص للفقراء. وأخيراً، بعد خمس عشرة سنة (بعد نياحة القديس) وُجِدَ هذا التلميذ مملوءاً برصاً بدرجة أنه لم يكن

(1) Laus. Hist., ch. 19.

في جسده قدر أصعب غير مريض ، فصار عبرة لرؤساء الأديرة ونظارها [.

(٢) ويذكر باللاديوس ، للدلالة على روح النبوة التي وهبها له الله ، قول القديس مقاره إلى إخوته :

« حينما ترون الأبنية تُشَيِّد بجوار البركة (للعلمانيين) : فاعلموا أن خراب الإسقيط قريب . وحينما تبصرون أشجاراً تُزْرَع ، قولوا إن الخراب على الأبواب . لكن إن رأيتم في الإسقيط أطفالاً ، فخذوا إسكيمكم (٣) واهربوا » .

وقد خربت هذه البرية بالفعل ثلاث مرات : الأولى منها ، بعد نياحة القديس بقليل (١٧ سنة) ، واضطر الرهبان أن يهربوا أمام هجوم البربر في هذه المنطقة (٤) .

[قال أنبا مقار في نبوّاته إن الطغمات الأولى الذين يسكنون في هذا الجبل يكونون أقوياء بالله في الأعمال مثل سبّاع الجبال ، وترتفع طلباتهم وصلواتهم وطيب دموعهم ومسكنتهم وأصوامهم دائماً أمام عرش الله ، وقيمون هكذا أزمنة كثيرة ، وبعدها يطلق الله أن تحرب الأربعة دياره وتصير مقفرة . ولكن بعد ذلك يذكر سيدي يسوع المسيح الرحوم أعمالهم وتدبيرهم وفضائلهم ، ويستدعي من تبقى من الرهبان ويوعز إليهم الملك المسيح قائلاً : ارجعوا إلى بلد آبائكم واعملوا بمقدار قوتكم .] (٥)

* * *

وتوجد رؤى أخرى ونبوات لم نشأ أن نضعها هنا ، ويجدها القارئ تحت فصول المعجزات وتسلط القديس على الشياطين ومعرفة خداعهم .

(2) Vit. Pat., V:18 & 11; Boll., 15 Jan.

(٣) وهي حسب النص القبطي « خذوا جلدكم واهربوا » (أي جلد الغنم المدبوغ الذي كان يلبسه الآباء على ظهورهم في الشتاء لإتقاء البرد) . ومن هذا ترى أيها القارئ أن المثل المعروف : « فلان هرب بجلده » هو أصلاً مثل رهباني ، ومعناه أن الراهب إذا رأى خطراً على خلاصه وطهارته فإنه يهرب بجلده (ولا يأخذ معه شيئاً آخر) .

(4) Vit. Pat., V, 18 & 13, 14.

(٥) المخطوطة العربية : سيرة مقاريوس ١٨ س ، ص ٢٢ بمكتبة دير أنبا مقار .

الفصل التاسع

تسلُّط القديس مقاره

على الشيطان والأرواح الشريرة

- ١ - شيطان الشهوات اللذيذة .
- ٢ - شيطان المعائر المتنوعة .
- ٣ - شيطان المخاوف والإنزعاجات .
- ٤ - شيطان النصيب الأكبر .

١ - شيطان الشهوات اللذيذة

(١) كان الأب مقاره يرقب الطريق في أحد الأيام ، فرأى الشيطان سائراً فيه على هيئة رجل مسافر وقد أقبل إليه ، وكان مرتدياً جلباباً كله ثقوب ، وكانت أنواع مختلفة من الفاكهة معلقة فيه . فقال له القديس مقاره : « إلى أين أنت ذاهب ؟ » فأجاب : « أنا ماضٍ لأزور الإخوة لأذكّرهم بعملهم » . فقال له الشيخ : « ولأي غرض هذه الفاكهة المعلقة عليك ؟ » فأجاب : « إني أحملها للإخوة كطعام » فسأله الشيخ : « كُلْ هذه ؟ » فأجاب الشيطان : « نعم ، حتى إذا لم يَرُقْ لأحد الإخوة واحدة منها أعطيه غيرها ، وإن لم تعجبه هذه أعطيه تلك . ولا بد أن واحدة أو أخرى من هذه ستروقه بالتأكيد » . وإذا قال الشيطان هذا ، سار في طريقه .

فظل الشيخ يرقب الطريق حتى أقبل الشيطان راجعاً . فلما رآه قال له : « هل

(1) AMEL., AMG, XXV, pp. 231-234.

وَوُفِّقْتُ؟» فأجاب الشيطان: «من أين لي أن أحصل على معونة؟!» فسأله الشيخ: «لأني غرض؟» أجابه الشيطان: «الكل قد تركوني وثاروا عليّ. وليس واحد منهم يسمح لنفسه أن يخضع لإغرائي». فسأله الشيخ: «ألم يبقَ لك ولا صديق واحد هناك؟» فقال الشيطان: «نعم، لي أخ واحد. ولكنه واحد فقط، هذا الذي يخضع لي، على الرغم من أنه حينما يراني يحوّل وجهه عني كما لو كنت خصماً له». فسأله الشيخ: «وما هو اسم هذا الأخ؟» فقال له الشيطان: «ثيؤمببتس Theopemptus». وإذ قال هذا رحل وسار في طريقه.

حينئذ قام الشيخ ونزل إلى البرية السفلى. فلما سمع الإخوة بمجيئه، أقبلوا للقائه بسعف النخل. وجهاز كل راهب مسكنه ظاناً أنه قد يأتي إليه. ولكن الشيخ سأل فقط عن الأخ الذي يُدعى ثيؤمببتس، واستقبله بفرح. وبينما كان الإخوة يتحدثون مع بعضهم البعض قال له الشيخ: «هل عندك شيء تقوله يا أخي؟ وكيف هي أحوالك؟» فقال له ثيؤمببتس: «في الوقت الحاضر الأمور حسنة معي»، وذلك لأنه خجل أن يتكلم.

فقال له الشيخ: «هوذا أنا قد عشت في نسك شديد مدى سنين طويلة، وصرت مكرّماً من كل أحد. وعلى الرغم من هذا، ومع أنني رجل شيخ، إلّا أن شيطان الزنا يتعبني». فأجابه ثيؤمببتس: «صدقني يا أبي، إنه يتعبني أنا أيضاً». واستمر الشيخ يوجد سبباً للكلام — كما لو كان مُتعباً من أفكار كثيرة — إلى أن قاد الأخ أخيراً إلى أن يعترف بالأمر. وبعد ذلك قال «إلى متى تصوم؟» فأجاب الأخ: «إلى الساعة التاسعة». فقال الشيخ: «صُمتُ حتى العشاء، واستمر على ذلك. إنلُ فصولاً من الأناجيل ومن الأسفار الأخرى. وإذا صعدت فكرة إلى ذهنك، لا تجعل عقلك ينظر إلى أسفل. بل فليكن فوق دائماً. والرب يعينك». وهكذا إذ جعل الأخ يكشف أفكاره، وإذ شجّع، عاد ثانية إلى بريته. وسار في سبيله وكان يرقب الطريق كعادته.

ورأى الشيطان ثانية، فقال له: «إلى أين أنت ذاهب؟» فأجاب وقال له: «أنا ذاهب لأذكر الإخوة بعملهم». ولما رحل ورجع ثانية، قال له القديس: «كيف حال الإخوة؟» فأجاب الشيطان: «كلهم مثل حيوانات متوحشة. كلهم متمردون. وأسوأ ما في الأمر أنه حتى الأخ الوحيد الذي كان مطيعاً لي قد انقلب هو الآخر، لأي سبب لست أعلم! ولم يَعدْ يخضع لإغرائي بأي حال. وصار أكثرهم نفوراً مني. ولذلك قد أقسمت أني لن أذهب إلى ذلك المكان إلا بعد مدة طويلة على الأقل».

٢ - شيطان المعائر المتنوعة

(٢) وجاء أيضاً عن القديس مقاره أنه كان في وقت ما سائراً في أقصى البرية. فأبصر شخصاً هرمًا حاملاً حملاً ثقيلاً يحيط بسائر جسمه، وكان ذلك الحمل عبارة عن أوعية كثيرة في كل منها ريشة، وكان لابساً إياها بدلاً من الثياب، فوقف مقابله وجهاً لوجه يتأمله، وكان يتظاهر بالحنج لتظاهر اللصوص المحتالين. فقال للبار: ماذا تعمل في هذه البرية تائهاً وهائماً على وجهك؟ فأجابه الأب قائلاً: أنا تائه طالب رحمة السيد المسيح. ولكني أسألك أيها الشيخ باسم الرب أن تُعرِّفني مَنْ أنت؟... لأنني أرى منظرك غريباً عن أهل العالم، كما تُعرِّفني أيضاً ما هي هذه الأوعية المحيطة بك، وما هو هذا الريش أيضاً؟

وقد كان الثوب الذي عليه مثقّباً كله. وفي كل ثقب قارورة — فأقرّ العدو بغير اختياره وقال: يا مقاره، أنا هو الذي يقولون عنه شيطان محتال. أما هذه الأوعية فبواسطتها أ جذب الناس إلى الخطية، وأقدم لكل عضو من أعضائهم ما يوافقهم من أنواع الخديعة، وبريش الشهوات أ كحل مَنْ يطيعني ويتبعني، وأسر بسقوط الذين أغلبهم، فإذا أردت أن أضل مَنْ يقرأ نواميس الله وشرائعه، فاعلي إلا أن أدهنه من الوعاء الذي

(٢) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ٢٠.

على رأسي، ومن أراد أن يسهر في الصلوات والتسابيح فإني آخذ من الوعاء الذي على حاجبي وألّطخ عينيه بالريشة، وأجلب عليه نعاساً كثيراً وأجذبه إلى النوم.

والأوعية الموجودة على مساميي مُعدّة لعصيان الأوامر وبها أجعل من يسمع إليّ لا يذعن لمن يشير عليه. والتي عند أنفي بها أجتذب الشاب إلى اللذة. أما الأوعية الموضوعة عند في فبواسطتها أجتذب النّسك إلى الأطعمة، وبها أجتذب الرهبان إلى الوقعة والكلام القبيح. وبذور أعمالي كلها أوزّعها على من كان راغباً ليُعطي أثماراً تليق بي. فأبذر بذور الكبرياء. أما من كان على ذاته متكلاً فإني أجعله يتعالى بالأسلحة التي في عنقي. والتي على صدري فهي مخازن أفكار ومنا أسقي القلوب مما يؤدي إلى سُكر الفكر وأشئت وأبعد الأفكار الصالحة من أذهان أولئك الذين يريدون أن يذكروا مستقبل حياتهم الأبدية.

أما الأوعية الموجودة عند جوفي فهي مملوءة من عدم الحس وبها أجعل الجهّال لا يحسّون، وأحسن لهم المعيشة على مذبح الوحوش والبهائم... أما التي تحت بطني فن شأنها أن تسوق إلى فعل سائر أنواع وضروب الزنى والعشق واللذات القبيحة. والتي على يدي فهي مُعدّة لضرب الجسد والقتل. والمعلّقة وراء ظهري ومنكبّي فهي مملوءة من أنواع الحن المختصة بي، وبها أقارع الذين يرومون محاربي فأنصب خلفهم فخاخاً، وأذل من كان على قوته متكلاً. والتي على قدمي فهي مملوءة عثرات أعرقل بها طرق المستقيمين. ومن شأنني أن أخلط في بذور فلاحتي صنوفاً من الحسك والشوك، والذين يحصدون منها يُساقون إلى أن ينكروا طريق الحق.

وبعد أن قال هذا صار دخاناً واختفى. وإن القديس ألقى بنفسه على الأرض، وابتهل إلى الله بدموع لكي يحارب بقوته عن الضعفاء سكان البرية ويحفظهم.

٣ - شيطان المخاوف والإنزعاجات

(٣) ويُذكر عنه قصة أخرى توضح كيف أنه كان متسلطاً على الشياطين: جاء مرة من الإسقيط إلى «ترينوت» (الطرائنة)، ودخل في معبد أو في قبر لكي يقضي الليل وينام. وكان في ذلك المكان عدة أجساد ميتة للوثنيين. فأخذ واحدة منها ليضطجع عليها كما لو كانت قبضة من القش. فغضبت الشياطين إذ رأته في مثل هذا الإطمئنان فأرادوا إزعاجه. فتظاهروا بالنداء على ذلك الميت قائلين: «يا فلانة قومي معنا إلى الحمام». فكان شيطان آخر ينطق من تحت القديس، كما لو كان الميت بشخصه يتكلم: «لا أقدر أن أذهب لأنه يوجد شخص غريب متوسدني». فبدلاً من أن ينزعج القديس قام وضرب الجسد بشدة قائلاً: «قومي إن استطعت وانطلقي إلى الظلمة». فصرخت الشياطين بشدة قائلين: «قد غلبتنا». وهربوا في خزي وعار.

(٤) وذات يوم، بينما كان القديس عائداً إلى قلايته حاملاً سعف النخيل الذي جمعه عند بركة الإسقيط، ظهر له الشيطان وفي يده منجل حاد جداً محاولاً أن يضربه به، ولما لم يستطع، صرخ قائلاً: «يا مقاره، إنك تعذبنا بشدة عظيمة. كلما أحاول أن أسيء إليك لا أجد قوة لذلك. أنت تصوم وأنا لا أكل أبداً. أنت تسهر وأنا لا أنام أبداً. لا يوجد إلا أمر واحد غلبتني فيه». فسأله القديس: «وما هو؟» أجابه: «تواضعك! هو الذي يجعلني عاجزاً عن أن أفعل شيئاً ضدك». فرفع القديس يديه للصلاة، فاخفى الشيطان.

٤ - شيطان النصيب الأكبر

[ومضى أبونا مقاره إلى الوادي دفعة، ليجمع سعف النخل. فلما جمع حاجته،

(3) Boll., 15 Jan.; Vit. Pat. V:7, §10. (Amélin., AMG, p. 213).

(4) Boll., 15 Jan.; Vit. Pat. III: §124; V, 15, §26; VII, 13, §6.

وقف به الشيطان في زي راهب لأبس إسكيم، وقال له: اعطني نصف هذا الخوص. فقال له الشيخ: خذْ منه ما شئت. فأجابه الشيطان: أريد نصفه. فقسّم القديس الخوص نصفين، وكان نصف أصغر من الآخر. وقال الأب: خذْ ما شئت. فقال له الشيطان: أنت الذي تعبت خذْ أنت ما تريد. فدّ القديس يده وأخذ النصيب الأصغر. فللوقت لم يطق الشيطان تواضع القديس، وصرخ بالصوت: الغوث منك يا مقاره لقد غلبتنا بكثرة تواضعك. فسأله: ومَنْ أنت؟ فأجابه الشيطان: أنا شيطان النصيب الأكبر. [٥]

ويقول المؤرخ سقراط في كتابه: «التاريخ الكنسي» عن القديس أنبا مقاره الكبير هكذا:

[إن مقار المصري قد صنع العديد من الأشفية، وأخرج كثيراً من الشياطين. وإذا أردنا أن نسجّل هذه الحالات جميعها، يعوزنا كتاب بأكمله، لأن نعمة الله مكنته فعلاً من ذلك.] [٦]

كما يقول المؤرخ سوزومين عن القديس أنبا مقاره أيضاً هكذا:

[إن الشياطين كانت ترتعب منه، وقد أجرى آيات وعجائب وأشفية مذهلة.] [٧]

(5) AMEL., AMG, XXV, p. 227.

(6) Socr., Ecc. Hist., IV., 23.

(7) Sozomen, Ecc. Hist., III, 14.

الفصل العاشر

القديس مقاره رجل معجزات

١ - الموقى يقومون .

٢ - موقى يتكلمون .

٣ - بعض أعمال أخرى فائقة .

١ - الموقى يقومون

إن أول انطباع ارتسم في ذهن بالليديوس عند وصوله لشبهت وسماعه أخبار وسيرة القديس مقاره، الذي كان قد مضى عام واحد على نياحته، هو أنه شخصية مهيبة ورجل معجزات. فشهرة القديس مقاره ومكانته بين الشيوخ في نتريا والقلالي وشبهت، على السواء، كانت تستمد قوتها وأثرها في النفوس لسببين: الأول لحكمته الفائقة على حدود التصور، والثاني لكثرة المعجزات المدهشة التي رآوها بأعينهم ولمسوها بأيديهم.

ومعجزات القديس مقاره لا يمكن إغفالها عند دراسة حياته بسبب ذيوعها وانتشارها في كافة الأصقاع، مع تأكيدات من الآباء المعاصرين له بصحة حدوثها بكل دقائقها وبأكثريتها مما يرويها المؤرخون عنه، وذلك بالرغم من ارتفاعها فوق مستوى المعقول البشري، مثل إقامة الموقى وإعادتهم إلى الحياة، وإبطال أعمال السحر العنيفة، وشفاء الأمراض المستعصية، ومخاطبته جثث الموقى.

القديس مقاره يقيم الموتى^(١):

إن تواضع القديس مقاريوس جعله يخفي كثيراً من المعجزات التي كان الله يجريها على يديه، كما أن كثيراً من الظروف والتفاصيل المحيطة بما وصل إلينا من المعجزات مجهولة لدينا. فالمؤرخون يؤكّدون أنهم لم يكتبوا جميع ما عرفوه عن هذه العجائب، لأنه لو كتبت لاحتاجت إلى مجلدات كثيرة. ومع ذلك فقد نقلوا إلينا الكثير من هذه العجائب.

ومن أشهر هذه العجائب أنه جعل ميتاً يتكلم إلى رجل هرطوقي ليقنعه بقيامة الموتى، وبذلك حُفظ إيمان شعب بأبعجه. وأهمية هذه الأعجوبة ليست في ذاتها، لكن فيما أدّت إليه من نتيجة، أي حفظ إيمان شعب بأكمله:

كان يوجد في مصر بعض الهرطقة، وكان من بين هرطقاتهم عدم الإيمان بقيامة الأموات. وكانوا يُعرفون بإسم «الهيراسيت» Hieracites نسبة إلى مبتدعهم «هيراكس» Hierax^(٢). وكانوا يقطنون مصر منذ أيام دقلديانوس. وتصادف أن واحداً منهم ذهب إلى البرية التي يقطنها القديس مقاره المصري وكان يسبب القلق والبلبلة بين المتوحدين بكلام ملق، بل وتجاسر على أن يتكلم بهذه البدعة أمام القديس شخصياً. وكان القديس يجادله، أما هوفكان يرد على كلام القديس البسيط بكلمات خداع. ولما وجد القديس أن المتوحدين في خطر تزعزع الإيمان، قال: «ما الداعي لهذا الكلام الباطل الذي يسيء إلى مَنْ يسمعون؟ الأخرى أن نتوجّه إلى مقابر الإخوة الذين سبقونا إلى السماء، وليعلم كلّ منا أن الذي يعطيه الله نعمة إقامة أحد هؤلاء فهو الذي يكون معتقده سليماً». فوافق الجميع على هذا الجواب وذهبوا إلى المقابر. وحث القديس ذلك الشاب الهرطوقي على أن يحاول إقامة أحد الأموات بإسم الرب، أما الهرطوقي فقد

(1) On these miracles see:

- a. Pallad. Laus. Hist. Macar. of Egypt. ch. 17.
- b. Coptic Mss. See Zoëga Cat., No. LXX, pp. 127 f.
- c. Palladius und Rufinus; by Preuschen pp. 124 f.
- d. Historia Monachor., ch. XXVIII.

(2) On Hierax and his tenets see Epiphanius on Hierax, PG XLII, Col. 173f.

طلب أن يفعل القديس ذلك أولاً باعتبار أنه صاحب الاقتراح .

فجثا القديس على ركبتيه وصلى ؛ وبعد أن أتم صلاته ، رفع عينيه إلى السماء وقال :
« أعلّمنا يا رب بواسطة إقامة هذا الميت من ميتاً له المعتقد القويم ؟ » عندئذ دعا بإسم
أحد المتوحدين الذين دُفِنوا من وقت قريب . فأجابه الميت من قبره ، وتقدم الإخوة من
الميت ونزعوا من عليه الكفن ، وأخرجوه حياً من القبر . ففرّ الهرطوقي فرعاً مذهولاً مما رآه .
أما الإخوة فركضوا وراءه وطردهوه من هذه الناحية .

هذه القصة هي بحسب رواية روفينوس . أما باللاديوس وسوزومين فاكتفيا بالإشارة
إلى أن القديس أقام ميتاً ، ليقنع أحد الهرطقة أن الأموات سيقومون جميعهم يوماً ما . أما
كاسيان فينقلها إلينا بأكثر تدقيق ، فيقول إن الهرطوقي هو « أونومي » Eunomien .
وأضاف أن القديس مقاره هو الذي أتى إلى الكنيسة تلبية لدعوة أصحاب الإيمان
الصحيح ، وأن الاقتراح بإقامة الميت تأجل إلى اليوم التالي ، ففر الهرطوقي هارباً وترك
مصر نهائياً . أما القديس مقاره فانتظره مع الشعب حتى الساعة الثالثة بعد الظهر . ولما
رأى أنه لم يأت ، ذهب إلى الموضع الذي اعتاد أن يدفن فيه المصريون أمواتهم . ووجد
هناك ميتاً منذ زمان طويل فتحدث إليه هكذا : « أيها الرجل . قلْ لنا لو كان هذا
الهرطوقي موجوداً بيننا ودعوتك بإسم يسوع المسيح ، ألا كنت قد قتت حياً أمام هذا
الشعب الذي كاد أن يُضلّه هذا المبتدع ؟ » فقام الميت في الحال وأشار إلى أنه كان
سيفعل هكذا . فسأله القديس عن شخصيته ، وفي أي زمان عاش ، وهل كان يعلم شيئاً
عن يسوع المسيح ، فأجاب أنه عاش في زمن أقدم الملوك وأنه لم يسمع قط عن يسوع
المسيح . فأجابه القديس قائلاً : « ارقد بسلام ، وانتظر إلى أن يقيمك يسوع المسيح في
نهاية الزمان حسب رتبك » .

ويورد كاسيان هذه القصة للدلالة على أن القديسين ما كانوا يسمعون وراء
المعجزات ، بل حتى عندما يمنحهم الروح القدس هذه النعمة كانوا يستعملونها للضرورة

القصوى. وأضاف كاسيان في نهاية القصة قوله أن مقاريوس، باتضاعه، أخفى عنا هذه العطية التي أنعم بها الروح القدس عليه. وأنه لولا حاجة المنطقة بأسرها، إذ كانت في خطر الهلاك، ولولا محبته للرب يسوع المسيح، لما قام بعمل هذه المعجزة، ولم يكن المجد الباطل ولا الرغبة في الظهور هي التي دفعته لذلك، بل محبته لمخلصه وتحنُّنه على هذا الشعب.

والملاحظ أن كاسيان راهب ومؤرخ روحاني دقيق، وهو معاصر لزمن القصة، وقد استقاهما من الشيوخ، وربما لا يكون قد مرَّ على حدوثها وقتئذٍ أكثر من عشر سنوات.

كذلك فإن القديس فيلوكسينوس (٣) المنجي، يعلِّق على هذه الحادثة بقوله: [لماذا أنبا مقاره وأنبا شيشاي وأمثالهما أقاموا موتى، وما جعلوهم يبقون في الحياة، بل قالوا لهم ارقدوا إلى زمان القيامة؟ لأنه لا ربح في بقائهم، لا للموتى ولا للذين أقاموهم ولا لغيرهم أيضاً، حسب ما يعلم الله الذي دبر أن يكون هذا الأمر هكذا، وعلى ما كان يظهر للأباء في الرؤيا. أما الموتى، فلأن بعض القديسين لما أقام ميتاً سأله: هل تريد أن تبقى في هذه الحياة؟ فقال: نياح الموت لي أخير من عمل هذه الحياة. أما الذين أقاموهم فلئلا يستمر ظهور آثار آياتهم فيعظم صيتهم ويُقاتلوا بالكبرياء والمجد الفارغ].

٢ - موتى يتكلمون

(٤) لم تكن تلك المرة هي الوحيدة التي فيها قام القديس بمثل هذه المعجزات. وهذه بعض منها صنعها القديس، ليعين بعض المساكين الذين افترى عليهم.

تصادف أن قُتِل شخص في مكان قريب من القديس مقاريوس، وأنَّهم شخص

(٣) تفسير البراديسوس مخطوطة رقم ٩ س بمكتبة دير أنبا مقار.

(4) Vit. Pat., L. II, 28, L. III, 41.

بريء بهذه الجريمة، فهرب تجاه قلاية القديس مقاريوس، فلحق به الذين كانوا يطلبونه . وقالوا إنهم هم أنفسهم في خطر، إن لم يأتوا بهذا المتهم لمحاكمته . أما هذا المتهم المسكين فكان يؤكد بقسم أنه بريء من دم هذا القتل . أمام هذا النزاع الذي طال كثيراً، سأل القديس عن موضع دفن القتل . فلما دلّوه عليه، ذهب معهم إلى الموضع، وجثا على الأرض، ودعا بإسم الرب وقال لهم : « إن الرب سيرينا إن كان هذا المتهم هو الذي اقتترف هذه الجريمة أم لا » . ورفع القديس صوته وخاطب الميت بإسمه، فلما جاوبه من قبره قال له القديس : « استحلفك بإسم يسوع أن تخبرنا إن كان هذا الرجل قد قتلك ؟ » فأجاب الميت بصوت مفهوم أنه ليس هو الذي قتله . أما الحاضرون فخافوا أمام هذه المعجزة، وسجدوا متوسلين إلى القديس أن يسأله عمّن قتله . فرفض القديس قائلاً : « لا داعي لذلك، إذ يكفي أن أطلق سراح البريء دون التعريف بالقاتل . فربما يندم القاتل ويتوب، وهكذا تخلص نفسه » .

(٥) ويحكى عنه قصة أخرى تشابه هذه نقلها إلينا الأنبا شيشوي :
 [لما كنت في البرية مع الأنبا مقاره، ذهب سبعة منا لحصاد القمح . فكان في الحقل أرملة تلتقط وراعا تبكي كثيراً . فلما رآها القديس هكذا حزينة سأل صاحب الحقل عن سبب ذلك، فجاوبه صاحب الحقل : « إن إنساناً أودع لدى زوجها مبلغاً من المال ومات دون أن يعرفها بمكان الوديعة، وطالبها صاحب الوديعة، ولما لم تعرف مكانها هدها بأخذها مع أولادها كعبيد » . فقال له القديس : « قل لها أن تأتينا ساعة راحة الظهيرة » .

فأتت إليهم وحكت للقديس عن سبب بكائها الدائم . فطلب إليها أن تعين له مكان دفنه . فذهب مع الإخوة بصحبته إلى المكان الذي فيه دفن زوجها، ثم صرفها إلى منزلها، أما هو فأخذ يصلي مع سائر الإخوة، ودعا الميت بصوت عال طالباً إليه أن يعرفه بمكان الوديعة التي استؤمن عليها، فأجاب الميت إنها مخبأة في

(5) Vit. Pat., L. VI, 2; Cotel.

بيته تحت رجل السرير. فأضاف القديس: «ارقد بسلام إلى يوم القيامة». فانطرح الإخوة تحت قدميه بسبب الرهبة. أما هو فقال لهم: «لم يفعل الله ذلك من أجلي لأنني لست شيئاً، وإنما ذلك لمعونة تلك المسكينة والأيتام». ثم ذهب لمقابلة الأرملة وأعلمها بمكان الوديعة. فلما وجدت ردتها إلى صاحبها، وهكذا أعتقت أولادها].

(٦) وقيل أيضاً عنه أنه كان معتاداً الصلاة عن الذين رقدوا وتركوا هذا العالم، فأراد أن يعرف هل كان هؤلاء ينتفعون بصلاته عنهم. فلإستنارته سمح الله أن يتحدث إليه بحجمة — كان قد صادفها في طريقه إلى البرية — تحدثت إليه بمقدار راحة صاحبها بصلوات القديس. وهذه الحادثة مشهورة جداً، وإذ هي غريبة، اكتفينا بالإشارة إليها دون سردها كاملة.

٣ — بعض الأعمال الأخرى الفائقة التي قام بها القديس

ولا بد لنا الآن أن ننقل لبعض العجائب الأخرى للقديس.

(٧) كانت هناك امرأة عفيفة وأمينة لزوجها، ولكن كان شخص آخر يحبها. ولما حاول ذلك الشخص كثيراً لتخطيء معه ولم يتمكن من ذلك، قصد إلى ساحر وأعطاه مبلغاً من المال حتى يجعل هذه المرأة تُرضي شهوته أو يجعل زوجها يهجرها. فاستخدم الساحر كل قوة فتنه. إلا أنه لم يتمكن من زعزعة المرأة عن عفتها، وإنما جعل الذين ينظرونها يرونها في شكل الفرس (ربما أصابها بتشنجات «شلل نصفي» في عضلات وجهها جعلت منظرها هكذا)، وإذ رآها زوجها بهذا المنظر أخذها إلى البرية حيث القديس مقاريوس^(٨).

(6) Vit. Pat., L., VI:3 §16 & L. III §172; Boll. 15 Jan.; Jo. D. def.

(7) Laus. Hist., 19.

(8) Vit. Pat., L. II: 28.

ويقول روفينوس إنها كانت فتاة عذراء وأن أهلها أخذوها إلى القديس . ولما وصلت إلى هناك ، كان حول قلاية رجل الله بعض المتوحدين الذين زجروا زوج المرأة وقالوا له : «لماذا أتيت بامرأة إلى هنا ؟» فأجابهم قائلاً : «إن ذلك حتى يتحنن عليها البار (كان يدعو القديس مقاريوس هكذا)» . فسألوا عما أصابها ، فأجابهم : «ها أنتم تنظرونها وهي تبدو وكأنها في شكل فرس ، وهي امرأتى ولا أدري ما الذي أصابها حتى صارت هكذا ، وها اليوم الثالث وهي لا تأكل شيئاً» . أما الله فقد أوحى للقديس عن مجيء هذه المرأة ، فلما أتى إليه المتوحدون وجدوه في قلايته يصلي من أجلها . فأخذها القديس بصحبة أهلها في قلايته ، وجثا على ركبتيه مصلياً لله وأمرهم أن يصلوا معه . وبعد أن مسحها بالزيت بإسم الرب ، انحلَّ هذا المرض ، وعاد وجهها كما كان .

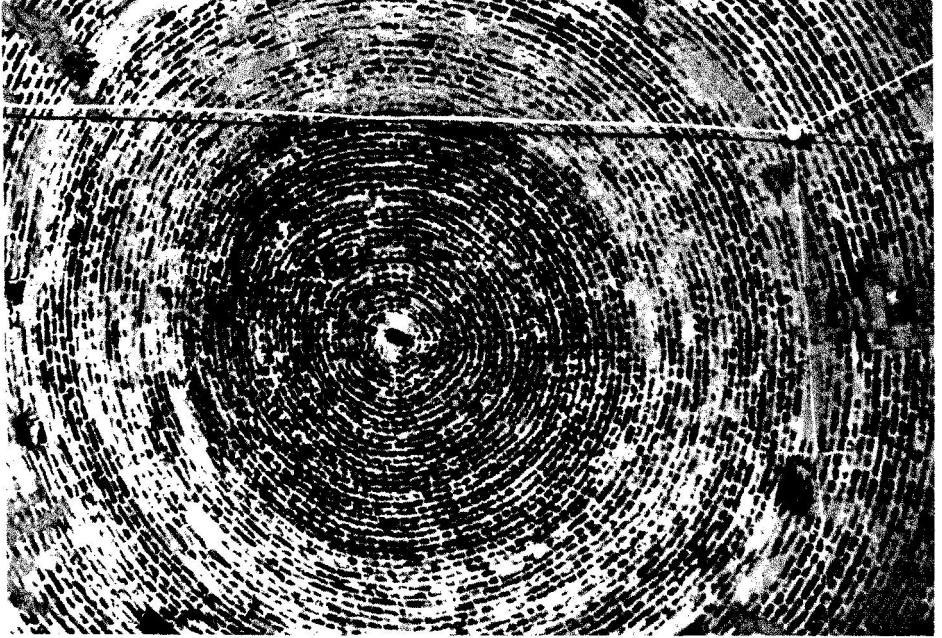
(٩) وبدلاً من الزيت — يقول باللاديوس — إن القديس سكب عليها ماءً سبق أن باركه وصلى على رأسها ، ثم أنه أمر بأن يأتوا لها بطعام ، فأكلت للحال . وهكذا أعادها إلى زوجها وهي صحيحة ، فقدم كلُّ منها الشكر لله على هذه النعمة العظيمة . أما رجل الله فأوصى هذه المرأة قائلاً : «لا تتأخري عن الكنيسة والتناول من الأسرار الإلهية ، لأن مرضك كان بسبب إهمالك تناول» . (١٠)

(١١) كان القديس يصنع معجزات أحياناً دون قصد منه . إذ يُحكى أنه كان لشخص من مصر ابن مفلوج ، فأُتي به إلى قلاية القديس مقاريوس وتركه على الباب ، وابتعد . فلما رأى الابن أباه تركه ، أخذ في البكاء . فلما فتح الشيخ ولم ينظر سوى الطفل وحده ، سألَه عمَّن أتى به إلى هذا المكان ؟ فأجاب : «أبي ألقاني هنا وذهب» . فقال له الشيخ : «قُمْ والحق به» . فشفي الطفل في الحال ، ولحق بوالده . وهكذا عاد الولد إلى بيته مُعافى .

(9) Laus. Hist., 19.

(١٠) يلاحظ هنا أن القديس لم يعترف لأهل المريضة بأنها أصيبت بسحر ولكن اعتبر حالتها أنها حالة مرضية .
(11) Vit. Pat., L. VI:2; Boll., 15 Jan.

وفي حياة القديس الخاصة، حكى الشيوخ أنه كان دائماً أبداً يُعان بقوة خارقة، وكان منظر كاروب كبير يرافقه باستمرار^(١٢). وحكي أنه عندما كان القديس أباً مقار ماضياً من الإسقيط حاملاً معه بعضاً من الخوص، أن تعب في الطريق وجلس. فصلى إلى الله قائلاً: «يا الله أنت تعرف أنه ما عاد بي قوة». وفي الحال وجد نفسه بجانب البحر (النهر).



صورة قبة الأنبا بنيامين

الأثر الخالد الذي لا يزال يحمل ذكرى تدشين كنيسة أبنا مقار في القرن السابع

(12) Apoph. Pat. 219, s. no. 45.

الفصل الحادي عشر

قالنس الوالي يضطهد رهبان مصر وينفي المقارئين القديسين

إلى هنا قدّمنا القديس أنبا مقار كمتوحد، كان يخفيه الله في ظل خيمته . والآن سنقدّمه جندياً شهيراً شجاعاً ليسوع المسيح، اكتسب بشهادته لقب « المعترف »، لدفاعه أمام العالم كله عن الإيمان المسيحي الأرثوذكسي .

فإن كان الله قد سمح أن البدعة الأريوسية التي كانت تهاجم ألوهية « الكلمة » نشأت في مصر، إلّا أنه قد وُجد كذلك من يقاومها أشد المقاومة في مصر نفسها . ونحن نعلم جميعاً ما تحمّله القديس البابا ألكسندروس من مواقف وأتعاب لإخماد تلك النيران عند بدء اشتعالها . ولقد تبعه في احتمال تلك الأتعاب القديس أثناسيوس الرسولي، ليس فقط من الأشخاص الذين في دائرة الكرسي الرسولي في مصر، بل واحتمل أيضاً أكثر من ٤٦ سنة من اضطهادات الجحيم التي كان يثيرها الأساقفة الأشرار والتي كان يؤيدها حُبث الحاشية والبلاط، بسبب ضعف قسطنطين الملك .

والتاريخ^(١) يحكي لنا أن أشد الناس تمسكاً وغيرة على إيمان نيقية كانوا هم متوحدو ورهبان مصر والشرق، الذين كانوا يعتبرون المقارئين القديسين الكبير

(1) For banishing the two Macarii see:

- a. Theodoret Ecc. Hist., IV, 19.
- b. Socrate Ecc. Hist., IV, 20.
- c. Sozomen Ecc. Hist., VI, 20.

والإسكندراني مع إيسيدوروس وبامو، وهيراكليد Heraclide وسائر تلاميذ الأنبا أنطونيوس كُحمة وكرؤساء إيمان؛ هؤلاء لم يحفظوا لأنفسهم نقاوة الإيمان والتمسك به فقط، بل واستخدموا السلطان الذي كان لهم على الشعب بفضل سيرة حياتهم، فكانوا يحثون الآخرين على التمسك به. ولأن عامة الشعب ما كانوا يرغبون في مناقشة الإيمان ذاته بل كانوا يتبعون فقط القديسين في إيمانهم، مقتنعين بأن الحق في جانب هؤلاء القديسين الذين تظهر فضائلهم بأعمالهم وعجائبهم؛ كان الشعب يحقد بشدة على كل من ينحرف إلى مبادئ أو عقائد تخالف عقيدة الآباء، وكانوا يعتبرونهم كأعداء، على أساس أنهم أشخاص ابتعدوا لا عن الإيمان القويم فحسب، بل وعن الأمانة لآبائهم القديسين.

لهذا السبب يُقال أن مؤمني مصر كانوا يكرهون الأريوسية كرهاً شنيعاً، بسبب مشاعر التبعية الروحية لرهبانهم القديسين.

ولكن هؤلاء الآباء القديسين لم يكن ابتعادهم في البرية حائلاً دون وصول الإضطهاد إليهم. فالهرطقة المتسلحون بسلطان رجال الدولة بعد أن بدأوا باضطهاد وتعذيب الشعب ورؤساء الكنيسة في البلاد التابعة لهم، انتهوا بعزل أو قتل كل من يتمسك بالطهارة والوحدة والصوم، سواء من الرهبان أو العذارى المتوحدين. وإن أعمال التوبة كانت مكروهة في نظر الهرطقة. وهكذا تقدّست الرهبنة وأعمال المتوحدين بالاضطهاد. فقد قيل أن نقشُف أديرتهم وشدة نسكهم كان إعداداً مباركاً لتحمل الآلام من أجل المسيح. وكان لا بد للهرطقة، وهم أعداء الإيمان الصحيح، أن ينضموا في النهاية للشياطين لتكليل آلام القديسين وتطهيرهم.

كان سلطان القديس أثناسيوس — لم يتجرأ فالنس على مهاجمته — يحفظ مصر كلها في سلام. ولكن لما رحل أثناسيوس سنة ٣٧٣م لينال مكافأته من الله لأجل جهاداته الشاقة، أقيم البطريك بطرس (الذي اختاره الشعب كله بالإجماع خليفة لأثناسيوس،

بل وحتى الرهبان تركوا برّيتهم لتأييده). ولكن سرعان ما نُفي هذا القديس من كرسيه بسبب بطش الأريوسيين، وأجلسوا بالقوة رئيساً كاذباً للأساقفة بدلاً منه يسمّى «لوس» (Luce) = «لوقا»، هذا الأسقف الكاذب المغتصب الذي كان له اسم الذئب ووحشيته؛ قام، مؤيداً — كما يقول المؤرخ سقراط — من السلطان الإمبراطوري، بأعمال وحشية فظيعة ضد إكليروس وشعب الإسكندرية وسائر أساقفة مصر (٣).

هذا الطاغية بعد أن طرد ونفى البعض، وقتل عدداً لا يُحصى من البعض الآخر إن بالسيف أو بالتعذيب أو بالنار؛ اتّجه أخيراً بأسلحة غيظه وغضبه نحو الأديرة، وفتك بسكان البراري، معلناً الحرب على الذين لا يطلبون سوى السلام (٤).

واعتقد بارونيوس أن ذلك حدث مع الإضطهاد الذي أعلنه «لوس» على الشعب المسيحي ساعة دخوله مصر عقب موت أثناسيوس مباشرة. إلا أن جيروم في يومياته Chronique، يذكر أن ذلك حدث في أواخر سنة ٣٧٥م بعد وفاة فالنتينيان (١٧ نوفمبر سنة ٣٧٥م)، وأن كثيراً من الرهبان قُتلوا في نتريا بواسطة الولاة والعساكر. وأوروس يقول إن فالنس (إمبراطور الشرق) لم يضطهد متوحدي مصر إلا بعد موت أخيه (فالنتينيان)، فأطلق لنفسه العنان.

ويظهر أن فالنس أراد أن يهاجم سكون الرهبان منذ أول يناير سنة ٣٧٣م، لأن لدينا قانوناً (مرسوم) مؤرخاً بهذا التاريخ، يقول فيه إن بعض الأشخاص قد تركوا الأعمال التي كان يجب أن يمارسوها في المدن في الموضع الذي وُلدوا فيه، واعتزلوا في البراري والوحدة وانضموا إلى جماعات الرهبان، متسترين تحت مظهر كاذب للتدين، ليُخفوا كسلهم. ويقول هذا المرسوم إن مثل هؤلاء الأشخاص ينبغي أن يُتّرعوا من

(2) Socrates H. E., IV, 20f.

(٣) هذه الغفائغ يصفها خطاب بابوي دوري من أنبا بطرس خليفة أثناسيوس لشعبه احتفظ به المؤرخ

ثيودوريت. Theod. H. E., IV, 19.

(4) Sozomen H. E., VI, 20.

مغائيرهم بواسطة والي الشرق، ويُلزَموا بتقديم الوظائف الواجبة عليهم نحو وطنهم، وإلاّ فإنهم يفقدون جميع ممتلكاتهم، وتوهب لمن يقوم عوضاً عنهم بهذه الوظائف.

أقول إن هذه القوانين — نظراً لسوء نية فالنس — ربما قد وُضعت لإزعاج سكّون الرهبان. ومع ذلك فلكونها تتضمن في ذاتها بعضاً من العدالة، كما أنها تتوافق مع التعهّد الذي كان الرهبان يأخذونه على أنفسهم بأن يتركوا كل شيء من أجل يسوع المسيح، كما أنها لم تفرض على الرهبان أكثر مما كانت القوانين الصادرة عن الرؤساء الأكثر تدبّيراً تفرضه على الإكليروس؛ لذلك فلا عجب أن نجد هذه القوانين واردة ضمن مجموعة قوانين الإمبراطورين ثيودوسيوس وجوستينيان.

وقالنس بهذا القانون قد هيأ لأعدائهم أن يفتروا عليهم. ولكنه بعد موت أخيه وجد نفسه في كامل حريته لتنفيذ سوء نيته التي ظهرت بوضوح في تجنيد جميع الرهبان في جيوشه، أي جميع الأشخاص الذين تركوا مختلف الأعمال والإهتمامات العالمية، لكي يقصروا نشاطهم على مجرد عمل الإيمان ويقتدوا على الأرض بحياة الملائكة في السماء؛ وهكذا ملأوا البراري الشاسعة وأخصبوا بالثمار الإلهية والفضائل تلك الصحارى التي كانت جدياً موحشة، لكن شيئاً من كل هذا لم يمنع الولاة والجنود من الذهاب إلى هذا المكان لكي يستأنفوا، تحت دوافع جديدة، رعب الإضطهادات القديمة ضد جنود يسوع المسيح الحقيقيين.

أما «لوس» الذي كان قد تعلّم في الإسكندرية أن يضطهد يسوع المسيح في شخص أئمن أعضائه، أعني الرهبان الذين يعيشون في الإسكندرية؛ لم تفتّه فرصة مواتية كهذه من المحتمل غالباً أنه هو الذي أوجدها لتخدم قسوته. وإذ قد حصل على أمر عام موجّه من فالنس إلى والي مصر بأن يطرد من الإسكندرية ومن كل مصر جميع أتباع إيمان نيقية الذين سيُرشد عنهم «لوس» (وكان والي مصر حينذاك هو تاتيان، لأننا نجد أنه قد شغل هذا المنصب مرة ثانية سنة ٣٧٤ و٣٧٦ و٣٧٧م)، وفي أثناء ولايته نفى واستبعد أساقفة

وكهنة وشمامسة ورهباناً، وذلك بعد موت أثناسيوس؛ قرّر لوس أخيراً أن يهاجم بالسلاح هؤلاء القديسين القاطنين في البراري، بقصد أن يجذب إلى جحوده شعوب المدن إذا ما استطاع أن يوقع أولئك الرؤوس الذين كانوا يساندون الشعوب في الإيمان، ولأنه كان واثقاً أنه لن يوقع أولئك الناس بقوة الإقناع، حاول أن يصل إلى مرامه بقوة السلاح.

لذلك أرسل «لوس» في هذا النوع الجديد من الحرب فرقاً من الفرسان والمشاة، قادها بنفسه واختار قوادها وضباطها ومساعدتهم كما لو كان ذاهباً لحرب مع البربر؛ وانطلق على رأس هذه الحملة نحو الإسكندرية مصطحباً القائد العام للجيش المصرية مع ثلاثة آلاف جندي وأمرهم أن يذهبوا ويقتلوا خذّام الله الحي. ومن ترتيبات الله العجيبة التي ساعدت على تسجيل هذه الوقائع التاريخية من شاهد عيان، وجود روفينوس المؤرخ في شيهيت في هذا الوقت بالذات، وهو الذي سجّل لنا هذه الحادثة بنفسه، يقول روفينوس (٥):

[ولما وصلوا تلك البراري وجدوا فيها رهباناً^(٦) منشغلين في عبادتهم وأصوامهم وخدمتهم، عُزِلَ بلا سلاح، بل وغير مستعدين حتى للدفاع عن أنفسهم، بل ومصممين على سفك دمائهم صوناً للإيمان المستقيم الذي سلّم لهم مرة من القديسين. كما وجدوا في تلك البراري نساءً عراة، لا يرفعون حتى أيديهم لصد الضربات الموجهة نحوهم، بل يقبّلون الرقاب لقبول الموت دون أن يقولوا شيئاً سوى: «مبارك الله في كل شيء»!] (٧)

ولكن لا الوداعة ولا المعجزات استطاعت أن تستميل القائمين على تنفيذ «الأمر الأسقي». وهكذا منعوهم أولاً عن مواصلة الصلاة في كنائسهم التي حرّموا عليهم

(5) Rufinus H. E., II, 3f.

(٦) ما يقرب من ثلاثة آلاف راهب في البراري القريبة أي نتريا والقلاي وأطراف شيهيت الشمالية.

(7) Socrate H. E., IV, 24.

دخولها. ثم تقدموا أكثر مستخدمين السلاح، وصنعوا في هذه البراري شروراً وقسوة وفظائع تفوق كل تصور.

لقد انطبق على هؤلاء النساك ما قيل عن الأبرار القدماء الذين احتملوا الهُزء والجلد والعُري والقيود والحبس، كانوا يُرجمون ويُقتلون بحد السيف، وكانوا فعلاً تائبين في الجبال والبراري في جلود غنم وجلود معزى، متروكين مذلين مكرو بين مضطهدين، مُعتزلين الدنيا في المغائر وشقوق الأرض، هؤلاء الذين لم يكن العالم مستحقاً لهم. ومع ذلك فقد شهد العالم لهم أعظم شهادة بسبب إيمانهم وأعمالهم والمعجزات التي صنعوها بنعمة يسوع المسيح التي كانت تجري على أيديهم. ولكن العناية الإلهية لم تسمح بكل هذه العذابات الواقعة عليهم إلا لتزكية إيمانهم وحبهم وصبرهم، ولخير باقي المؤمنين الذين كانوا ينتفعون بمثال تقواهم.

والقديس جيروم^(٨) وأوروس^(٩) يؤكّدان أن جماعات كاملة من الرهبان سفكوا دماءهم في نتريا على أيدي الوالي «لوس» مدّعي الأسقفية، لكن الله لم يسمح بأن تُعرف أسماؤهم، فصاروا شهادة صامتة للجندي السماوي المجهول!

فلما ملّ «لوس» من إزعاج القديسين وانهزم أمام انتصار حبهم، أمر القائد بأن يُنقى الآباء الرؤوس المعتبرين زعماء للطغمت الرهبانية، فأمسكوا بالمقارئين معا^(١٠). وبعد ذلك مسكوا جماعة من نتريا تتكون من إيسيدوروس، وهيراكليس، وبوا، وبيسيمينوس، وأدلفيوس، وبافوتيوس وأمونيوس ذي الأذن الواحدة^(١١)، ونفوهم إلى فلسطين. وكانت شهوة الوالي «لوس» أن يقتلع هؤلاء الآباء القديسين بعيداً عن

(8) Chronicon, anno 379 (Migne, PL XXVII, col. 697).

(9) Historia adversus paganos, VII, 33, p. 551.

(١٠) يؤكّد كل من روفينوس وسقراط أن مقاريوس الإسكندري نُفيا معا إلى جزيرة في
الدلتا.

Socrates H. E., IV, 24.

(11) Pallad. Laus. Hist., ch. XLVI.

رعيّتهم، ويُخرجهم من مغائرهم، ليبطل فاعلية إيمانهم، فأمر بالقبض على المقارّين سراً أثناء الليل ومعهم شخصان فقط ممّن اعتادوا خدمتهم: [إن ذلك كان في ٢٣ من شهر برمّهات، وهو اليوم الذي نفاهم فيه «لوكيوس» (١٢). وأخذوهم إلى جزيرة مصرية محاطة بالمستنقعات في وسط الدلتا (١٣) لا يقطنها مسيحيون قط، حتى لا يجدوا فيها أيّسة تعزية ولا يمارسوا فيها تدريباتهم المعتادة. ويتفق كل من روفينوس وسقراط وسوزومين على أن هذه الجزيرة كانت في مستنقعات الدلتا.

وكان في هذه الجزيرة هيكل قديم فرعوني لأحد الآلهة المصرية القديمة التي كان سكانها يوقرونه جداً الأمر الذي كان يشدد تمسّكهم بالوثنية. وعندما اقتربت السفينة التي تحمل القديسين إلى الشاطئ، اضطرب الشيطان، وانزعج، ودخل في جسد ابنة الكاهن الوثني، الذي كان موضع احترام كافة الشعب هناك. فكانت تطلق صرخاتها، وتجري في كل ناحية وسط الشعب، وتصربأسنانها، ويخرج من فها لعاب، وتشنّج بطريقة مزعجة؛ ثم انطرحت عند أقدام الرهبان. وحينئذ نطق الشيطان في فها، وتكلّمت كما تكلّمت من قبلها العرّافة في مدينة فيليبي في سفر الأعمال: «يا عبيد يسوع المسيح، ما أرهّب قدرتكم. هل يجب يا عبيد الله العظيم أن تأتوا لتطردونا من المكان الذي نقيم فيه منذ زمن طويل؟».

وبدأ المقاران يصليان بالقوة المعطاة لهما من الله، وأمر الشيطان بالخروج. وهكذا اضطرب للهروب، تاركاً الفتاة منطرحة على الأرض (وكأنها مائتة). فصلّي القديسان من أجلها، وأقاماها، وأعاداها إلى أبيها، في تمام صحة الجسد والروح.

وانتهز القديسان هذه الفرصة للكراسة بإيمان المسيح لهذه الشعوب، التي أعدتهم هذه التجربة لقبول الإيمان. وهكذا تغيرت هذه الجزيرة من عبادة الأوثان إلى الإيمان

(١٢) المخطوطة ١٨ س — مكتبة دير القديس أنبا مقار — ص ٤٥.

(13) Ruf. H. E., II, 4; Socrates, H. E., IV, 24; Sozom. H.E., VI, 20.

بالمسيح . وكانت الفتاة التي شُفيت ، هي وأبوها وجميع أقاربها ، أول الساجدين عند أقدام هؤلاء الرسل الجدد سائلين ماذا ينبغي أن يفعلوا ليخلصوا ؟ واقتدى بهم كل الذين شاهدوا هذه المعجزة ، بل وكل سكان الجزيرة . وكان دخولهم إلى الإيمان بغيرة وحرارة ، حتى إنهم هدموا في الحال التمثال الذي كانوا يقدّسونه من قبل ، وأقاموا كنيسة للمسيح ، وقبلوا المعمودية ، وتعلّموا بفرح كل ما يختص بالإيمان المسيحي . فلم يحتاجوا إلى زمان لكي يصمّموا على اعتناق ديانة نظروا براهينها المفحمة ، ليس بكلمات بل بمعجزات .

وهناك فقرة في القصة التي تقدمها المخطوطة رقم ١٧ س ، بمكتبة دير أنبا مقار ، ص ٣٦ ، عن نفي المقارّين ؛ تفيد تحديد زمن بناء هذه الكنيسة بدقة لا بأس بها ، إذ تقول المخطوطة :

[وكان إيغومانوس الإسكندرية يأتى إلى القديس أنبا مقاره ، ليزوره في منفاه وهو في السجن (الجزيرة) ، فسأله أبونا أنبا مقاره الكبير أن يأتى إليه بقليل ميرون من خزانة الأب البطريك أنبا بطرس خليفة أنبا أثناسيوس ، فقال له الإيغومانوس إن أنبا بطرس ليس له على الكرسي سوى ستة أشهر وما لحق بعد أن يصلي على الميرون ...] .

والمعروف أن أنبا بطرس اعتلى الكرسي المرقسي في ١٦ مايو سنة ٣٧٣ م ، وبذلك يكون قد تحدّد بناء هذه الكنيسة في جزيرة المنى حوالي نوفمبر سنة ٣٧٣ م ... والمخطوطة تعود وتقول : [إنه تم تدشين الكنيسة بالميرون في ١٠ طوبة وهو تذكار عماد ربنا يسوع المسيح] .

فهؤلاء الرجال الجديرون بكل إعجاب حينما طردوا من موطنهم لدفاعهم عن عقيدة «وحدة الجوهر» . صاروا أكثر شهرة بالإنضطهاد الذي عانوه ، وخلّصوا ليس فقط نفوسهم ، بل وأيضاً نفوس الآخرين ، وثبّتوا بهذه المعجزات نفس الإيمان الذي كان يُرجى هدمه بنفيهم .

فلما عُرف خبر انتصار يسوع المسيح هذا في الإسكندرية ، لم يكن غيظ الأسقف

الكاذب «لوس» (لوقا) قليلاً، فإنه خاف أن ينقلب عليه الشعب، وخصوصاً الذين هم من حزبه، فيُلام بسبب هجومه على القديسين العظام، وبسبب ظهوره بظهور من يحارب ليس الناس بل الله ذاته. ولم يكن هذا مجرد خوف، بل حدث بالفعل أن الشعب ثار على هذا الأسقف الكاذب «لوس» وصب عليه غضبه طالباً من الله أن ينتقم منه، ما لم يطلق سراح القديسين. ولخوف الوالي من النتائج الخطيرة المنتظرة من هذا الشعب، اضطر أن يأمر بإرجاعهم سراً. فتركهم يعودون إلى براريهم ومغاييرهم، وكان ذلك في سنة ٣٧٦م^(١٤). وبعد ذلك بسنة واحدة طُرد هذا الأسقف الكاذب الشرير من كرسيه سنة ٣٧٧م. أما جماعة نترية فعدت، حسب تحقيق بطر، سنة ٣٧٥م^(١٥).

وهكذا كان اضطهاد هؤلاء القديسين سبب مجد لهم وللكنيسة كلها. ويقول روفينوس إنه يروي هذا الإضطهاد كما رآه بنفسه، إذ كان له شرف الإشتراك في الآلام التي يتحدث عنها. ولكن يبدو أن بالاديوس يؤكد أن القديس بوا (بامو) لم يكن مع المقارئين، بل نُفي إلى قيصرية في فلسطين.

ولا تزال الكنيسة القبطية تعيد لرجوع القديس مقاره المصري وزميله الإسكندراني من منفاهما في ١٣ برمهات (٩ مارس يولياني، ٢٢ مارس غريغوري)، حيث يقتبس السنكسار القبطي الكبير (باسيه) قصة منفاهما، بتدقيق أكثر، كتبها يوليوس الأفهصي مستنداً على وثائق من سقراط. والقصة بكاملها لا تزال غير معروفة بتدقيق كامل، وهي محفوظة في مخطوطة بياريس^(١٦).

(14) Socrates H. E., IV, 37.

(15) Butler, H. E., II, p. 226.

(16) B.N., Fonds Arabe, No. 213, fol. 20.

الفصل الثاني عشر

خطاب أنبا مقار الأخير

ونياحته

حدث مرة أن أرسل شيوخ جبل البرنوج (نتريا) إلى أنبا مقار يقولون له: «سر إلينا لنشاهدك قبل أن تنصرف إلى الرب، ولا تضطر الشعب كله، أي الرهبان، إلى المجيء إليك». فلما سار إلى الجبل اجتمع إليه الشعب كله (الرهبان) وطلب إليه الشيوخ قائلين: «قُلْ للشعب كلمة، أيها الأب». فقال:

يا أولادي الأحباء...

كثيرة هي أجماد القديسين^(١). وينبغي لنا أن نغير من أجلها^(٢)، ونطلب معرفة تدبيرهم وعملهم، ونفتش لنعرف كيف استحقوا الملكوت ونالوا النعيم في تلك الرتبة؛ لأنهم لم يشتروها بمال، بل كما تحققناه منهم، أنهم اقتفوا فقط آثار القديسين الذين قبلهم.

وقد اقتنوا المسكنة، وتواضع النفس، وانسحاق القلب، والمجاهدة في الصلاة، والمحبة لكل الناس، وخوف الله الذي لم يفارق قلوبهم، والذي لا يبده الغضب، هذه هي فضائل النفس!

وأما الجسد، فرفضوا جميع شهواته؛ وكانوا جوعاً عطاشاً لا ينعمون ذواتهم بشيء من

(١) «لتعلموا ما هورجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين.» (أف ١ : ١٨)

(٢) «حسنة هي الغيرة في الحسن.» (غل ٤ : ١٨)

شهوة الدنيا !

بهذا التدبير نالوا هذه الذكصا (المجد أو التسبحة)، وأخذوا إكليل ملكوت السموات .

فالآن أي شيء كان لهم وليس هولنا الآن ؟ سوى أنهم تركوا كل أهوية قلوبهم من أجل الرب، وحملوا الصليب، وتبعوه، ولم يفصلهم عن محبته شيء آخر؟

أما نحن فليس فينا حب الله تاماً كاملاً مثل آبائنا القديسين، الذين أحبوا الله حباً خالصاً، ليس فيه غش ولا رياء، ولم يبعضهم عن محبته شيء من أمور العالم البتة، لا مال، ولا أولاد، ولا أهل، ولا امرأة، ولا أخ، ولا سلطان، كمثّل إبراهيم الذي أحب الله حباً تاماً، ولم يشفق على ابنه إسحق لما أمره أن يذبحه فأطاعه وعمل مرضاته، وكمثّل الشهداء القديسين الذين اختاروا حب الله على حياتهم، وصبروا على صعوبة التعذيب وتقطيع أجسادهم وسفك دمائهم، لأجل محبة الله التي انفرست فيهم وأكملوا قول بولس الرسول: «ما الذي يفرّقني عن حب المسيح ؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم غري أم خطر أم سيف، لأن هذه كلها وما هو أعظم منها لا يمكن أن تفرّقني عن محبة الله في المسيح» .

فالآن يا أولادي قد وجب علينا، إذ قد تركنا محبة العالم ولبسنا زي العبادة واتبعنا الرب يسوع، أصبح علينا أن نحبه أكثر من الأهل والوالدين والإخوة والأولاد وكل الممتلكات الفانية التي في العالم، حتى نكمل الوصية ونفوز بتتيم أوامره المقدسة، فننال الطوى مثل القديسين .

يا أولادي فِرُوا من الخطية، واصبروا إلى الموت في حفظ وصايا الرب، ولا تقبلوا مشورة العدو من جهة كسر أي وصية مهما كانت صغيرة، لأن كسر أي وصية، صغيرة كانت أم كبيرة، يُغضب الله .

وأنا أريد أن تكون أنفسكم يا أولادي مسكناً دائماً لله، حتى تتفكروا على قريبكم

بالخير دائماً، ولا يكون فيكم من يذكر الشر لأخيه أو يتحرك بالبغضة عليه، فإن القلب الذي يتفكر بالشر والبغضة لا يمكن أن يكون مسكناً لله .

لقد علمتم المكتوب: «إن أنتم أحببتم بعضكم بعضاً، فإن الله يكون ساكناً فيكم» . فاقتنوا الحب بعضكم لبعض، لكي تقتنوا لأنفسكم كل تدبير الفضائل الأخرى في رهنبتكم، كل أيام حياتكم .

اكشفوا عن وجوهكم برقع الظلمة، الذي يمنعكم من أن تبصروا حلاوة محبة الإخوة . وتعرفوا مقدار كرامة هذه الفضيلة . اسمعوا بولس الرسول كيف يقول: «أنتم مسكن الله الحي» . فامسكوا هذا في قلوبكم، ولا تقولوا الشر على قريبكم، أو تحزنوه، لئلا تغضبوا الله الساكن فيه !!! لأن كل كرامة يُكرّم بها الإنسان أخاه هي واصلة بالمسيح سبحانه، وكذلك كل ما يُكرّم به المسكين والغريب، لأنه هو القائل: «مهما فعلتم بهؤلاء في فعلتم» .

أطلب إليكم، إذن، أن تفرّوا من كل وقعة ودينونة، لأنها تُهلك نفوسكم . أما النفس التي لا تقبل الوقعة، ولا تفكر في السوء على أحد، ولا تميل إلى حب الدرهم، ولا تميل إلى شهوات العالم، فإنها تستضيء مثل الشمس، إذ تصبح نقية سالمة من العيوب . فإن تغلبت عليها الشهوة وسَعَتْ إلى التهمة والوقعة والحسد وحب الفضة، فإن بقية الخصال الرديئة تكمل فيها، فيُنْتزَع منها نعمة النقاوة والاستضاءة .

اعلموا أن الحكيم إذا وقع في حفرة مرّة، فإنه يتحرز منها، حتى لا يقع مرة أخرى . واعلموا أنه كما كانت الحية إناً للعدو، وبواسطتها هلك آدم ووجب عليه الموت؛ هكذا أفعال السوء، فهي مدخل للعدو، الذي بها يُهلك نفس فاعلها . فالواجب، إذن، أن نحفظ أنفسنا جداً لئلا نصير آنية للشيطان .

يا أولادي احفظوا أسماعكم لكي تبقى قلوبكم نقية، واهربوا من كل نجاسة، لأن

الذئاب في هذا الزمان كثيرة، وهي تسعى لتخطف الخراف الساذجة .

وإن اتفق لأحد منكم أن زكّ وأوجع قلب أخيه بكلام أو وقعة، فعليه أن يندم في الحال ولا يعود إلى ذلك، حتى لا يزيد النار حطباً. وإن هوسم كلاماً ردياً عن أحد إخوته فعليه أن يرد الكلام إلى الصلاح، حتى يملك الحب بينكم والسلام، فيثمر فيكم قول المخلص: «طوبى لفاعلي السلام لأنهم بني العلي يُدعون». وهكذا يحرص كل واحد منكم أن يمدح أخاه في غيبته، حتى إذا سمع أخوه ذلك عنه يزداد في محبته.

واعلموا يا أولادي هذه الحقيقة: إن في قلب الإنسان «سراً إلهياً». فتي كان قلب الإنسان غير نقي ونيته غير صافية من نحو أخيه أو صاحبه، فلا بد وبكل ضرورة أن قلب أخيه يحس بذلك، مهما حاول هو أن يتجمل بلسانه من نحوه. وكذلك أيضاً من جهة المحبة، إذا كان قلب أخيك يحبك، فلا بد أن قلبك يستشعر بذلك وتحبه. لذلك احرصوا، بكل جهد، أن لا يتغير قلب أحد منكم على صاحبه. فإن حدث أن سمع أحد كلاماً صدر من أخيه عنه، ولم يتحقق أنه صحيح أو كذب، فلا يخبئه في قلبه، ويحقد عليه، ويبدأ يحاسنه بلسانه، وقلبه غير نقي؛ فهذه الحال تولد البغضة المرة والمقت، وهي تغضب الله.

فالإنسان إذا سمع من أخيه شيئاً يوجع قلبه، عليه في الحال أن يأخذه فيما بينه ويعاتبه عليه، فإن كان صحيحاً، ينبّهه أن لا يعود إلى ذلك، وإن كان كذباً، فسيؤول ما في قلبه في الحال. ولكن إذا أهمل الإنسان ذلك وتركه جانباً، فإن الحقد يتولد فيه شيئاً فشيئاً. وهذا هو هلاك النفس، هنا وفي الآخرة!!

يا أولادي، كل من يسمع التأديب ولا يقبله، ولا يعمل به، فهو خاسر نفسه، ويصبح مُعذّب النفس دائماً، لا يهدأ له سر أبداً، ويصبح غضوباً حزيناً كثيراً مهموماً مغموماً، كثير الأفكار، تطالبه نفسه بعمل الشر والكلام الرديء؛ لأن الأدب مثله مثل طريق الملك التي عليها الحراس يحرسونها ليلاً ونهاراً، فكل من يسلكها بالنهار أو بالليل

ويكون آمناً على نفسه!! أما الجهالة وقلة السمع والإعجاب بالنفس فهي طريق وعرة غير مسلوكة، وكل مَنْ مشي فيها ضلّ وتعب، وربما هلك، لأن اللصوص والدعرة موطنهم هناك!!

وكل مَنْ مشي في الطريق المسلوكة واتَّفَق أن عثر في أمر أو عارض، كان عذره مبسوطاً وعلاجه حاضراً؛ أما مَنْ ترك عنه طريق الملك، واختار أن يسير في الطريق الوعرة، فلا عذره ولا علاج.

وأنا أطلب إليكم بكل قلبي، أن لا تغيب الشمس على غضبكم، ولا يبيت أحد منكم وفي قلبه دغل أو حقد من نحو أخيه، فهل يعلم إن كان يدركه المحتوم في تلك الليلة فيمضي إلى الرب وهو ملوث القلب، نجس الفكر؛ فيضيع تبعه ويذهب خاسراً الدنيا والآخرة؟

أنا أوصيكم يا أولادي أن تبالغوا في خدمة القديسين (إخوتكم الرهبان)، والمرضى، وادفعوا لهم على قدر قوتكم من عمل أيديكم.

واعلموا أن عمل كل واحد منكم محسوب له، إن كانت خدمة أو صلاة أو مطانيات أو دموعاً أو صوماً، حتى الكلمة الواحدة التي يقولها الإنسان بالمحبة في شأن الله (للتعزية)، أو عمل اليدين، هذا كله محسوب لكم؛ فلا تخافوا يا أولادي، لأن مخلصنا لا يظلمنا بشيء، وكل تعب يتعبه أي واحد منا، سوف يُستعلن له وقت خروج النفس من الجسد.

فاستيقظوا، يا أحبائي، ولا يكون الذين يأكلون ويشربون ويرقدون بلا قدر، والذين لا يلومون أنفسهم، يظنون أنهم يتساوون بالذين يتعبون ويسهرون ويحرسون في كل شيء من أجل الله. فاجتهدوا إذن وأحبوا التعب، بل ليكن عندكم تعب الجسد حلواً شهياً، بلا ملل، ولكن ليس بتكثّف لأن متكثّف الشيء ضعيف القدرة عليه. أما المشتبه

التعب فيسعى إليه بنشاط، وفرح قلب، بغير ضجر. وطوبى لمن يبق في تعبهِ فَرِح القلب، ويدوم فيه غير متكلّف عليه، لأنه باب الفردوس المفتوح.

أما الذي يطيع ضعف الجسد، فإنه يصبح في النهاية غريباً من تلك الخيرات المعدة للمجاهدين، ويتولاه الندم في القيامة، حيناً تُستعلن الأكاليل والمواهب السمائية، للذين تعبوا، ويبقى هو بعيداً لا يملك إلاّ الحزن والكآبة التي لا تنفع!

ماذا يفيد الإنسان إذا تنجح في هذه الدنيا بالطعام والشراب والنعيم الزائل زماناً سيراً، ثم يقع هناك في العذاب الدائم؟

وأعرّفكم أيضاً أن الذي يلزم فضيلة واحدة من الصلاح ثم يفرط في فضيلة أخرى، فهو يشبه إنساناً أخذ إناءً وملاه زيتاً، وأهل فيه ثقباً، ثم ركب وسافر، فا وصل إلى نهاية سعيه إلاّ والإناء فارغ مما فيه!! هكذا كل من يربط على وصية واحدة يهتم بها ويسلك في باقي الفضائل بغير صواب، فإن عمله لا يُقبل، وتعبه يضيع. فاحرصوا على حالكم، وميِّزوا أعمالكم، حتى لا يلحقكم تقريط. ولا يغلب عليكم هوى، لثلا تصيروا مثل من يتصدق بكل ما عنده ويعتقد أنه بتلك الصدقة ينجو من تقريطه في باقي الوصايا؛ أو مثل من يعتقد أنه يخلص بإطعام الخبز أو إضافة الغرباء أو زيارة المحبوسين أو المرضى، وهو مهمل لبقية الوصايا؛ أو كمثل من يجتهد في الصلاة ليلاً ونهاراً، وهو خالي من المحبة أو الرحمة وبقية الوصايا؛ أو كمثل من يصوم كل زمانه، ويحرم نفسه من كل خيرات الدنيا، وهو مفرط في الوصايا الأخرى؛ أو مثل من يتمسك بالتعفف والمسكنة، ثم يقتني الإسترخاء والكسل، مقتنعاً أنّ بتعفّفه ومسكنته يخلص؛ أو مثل من يلزم الطهارة الجسدية، ثم هو لا يتعد من أفكار الشر والوقية والحسد، معتقداً أن بطهارة جسده ينال الملكوت السمائي.

هكذا كل من يتمسك بهذه الوصايا المفردة لا يكاد أبداً يخلص بها، لأن الوصايا مثل السلسلة، متى انفكت منها عروة تلفت بأكملها، فمن تواني عن وصية من الوصايا ضاع

تعبه !

يا أولادي، افهموا كلامي وخذوه، ادخلوه داخل خزائن قلوبكم، لأنه سيأتي وقت تُسألون فيه عن ثمر كلامي وتعطون جواباً عمّا سمعتموه مني . فلا تجعلوا كلامي لكم سبب دينونة، لأنني إنما كلمتكم لخلاصكم ولصحة أنفسكم .

اهتموا يا أولادي بخلاص أنفسكم، وارجعوا إلى الرب بتوبة نقية من الغش، وببكاء وتضرّع اعترفوا بمنافسكم، ولا تكونوا كالبهيمة التي لا حس لها ولا حكمة عقل، تقع في حفرة وتعود إليها .

واعلموا أن التوبة قائمة الآن ومستعدة، وكل الفضائل تلحقها، لكل من يجاهد فيها . لأن شأن التوبة جليل، وعظيم هو حسن عاقبتها إلى الأبد . والذين يثبتون على مرارتها، ويتمسكون بمسلكتها، ولا تتغير قلوبهم عنها، يأخذون أجراً عظيماً عنها، وينالون الملكوت بسببها، لأن التوبة النقية مفتاح كل الفضائل، وبدء كل صلاح، وسلّم الخيرات الأبدية، والذي يقتنيها يسهل عليه باقي الوصايا شيئاً فشيئاً .

ولكن التوبة ليست هي عن خطايا الجسد فقط، وإنما عن كل الخطايا سواء للجسد أو للنفس . وكل من اجتهد فيها فهو الرجل الكامل الذي بدأ يبني على الصخر !

يا أولادي أنا أفزع إلى الله، مرتعداً من أجلكم، حتى لا تُصطادوا بفخ الغفلة ولا تميل قلوبكم إلى اعتياد التهاون، لأن ذلك يبعدكم عن حرارة التوبة، ويورثكم الندامة في النهاية، حيث لا ينفع حينئذ ندم . فما دمت في الجسد، فامسكوا التوبة ولا تدعوها تفلت منكم ؛ لأن كل من فارقتها، فقد فارقتها الرحمة، وملكوت السموات . اضرعوا دائماً وابكوا بكاءً قدام مخلصنا، حتى تستحقوا سماع الصوت : «مغفورة لك خطاياك» !! صالح هو مخلصنا، وهو محب للبشر، يفرح بتوبتكم ويطلب من الآب لأجلكم، ولكن لا تهاونوا أنتم بطيبة قلبه وترجعوا إلى خطاياكم، فتصبح الطلبة من أجلكم بلا نتيجة .

فَمَنْ هو الجاهل إلاّ الذي ترك عنه التوبة، واستكان إلى الإسترخاء والغفلة، فيهدم كل ما بناه بالتعب والدموع. أحبوا إذن حلاوة الجهاد، لأنّ التعب والحرص يأتي بالإنسان إلى النياح، ويشقي جميع أوجاع قلبه، ويجلب له خيرات السماء، وفي النهاية يصير مسكناً للروح القدس.

فلنُتَبَّ ما دام لنا زمان، قبل أن يبلغ الوقت، ونُدعى للخروج من الجسد؛ لأنّ التوبة هي لزمان قليل بعد، لأنّ الذي يموت في خطاياه، يقول الله إني لا أذكر له شيئاً من صلاحه. إذن فلنحرص من الآن، حتى نجد عزاءً في زمان الشدة، كالفلاح الذي إذا لم يتعب ويحرق ويزرع في زمان الشتاء، لا يجد في زمان الحفاف ما يجمعه إلى مخازنه ولا ما يقات به.

هكذا نحن، فليحرص كل واحد منا على قدر قوته؛ فإذا لم نقدر كلنا أن نكلل مع الكاملين، فلا بأس أن نكون دونهم؛ ولكن لا نكل يا أحبائي في الجهاد، لنشارك أحبائنا المسيح، ولا نكون مع ذلك العبد الذي دفن فضة سيده ولم يعمل شيئاً. نحن نجاهد على قدر قوتنا، مهما كان قليلاً، لأنّ إلهنا صالح، وهو يكافئ، عوض القليل، الكثير.

ولنجهّد لنتشبّه دائماً بالصالحين، لئلا نندم عندما نجاهد في النهاية في مجد عظيم، فنبدأ نلوم أنفسنا قائلين: يا ليتنا كنا سلّمنا أنفسنا للموت في الجهاد، حتى نرث هذه النعمة مثلهم؟ طوبى يا أولادي للذين يعملون الآن بكل قوتهم، فإن ساعة واحدة في ذلك المجد والراحة تُصَيِّرهم ينسون كل تعبهم، احرصوا إذن لئلا تُعدّموا تلك النعمة! مكتوب في رسالة بولس الرسول أن اهتمام الجسد موت واهتمام الروح حياة، فليكن اهتمامنا الآن هو في الروح، لكي نحيا إلى الأبد، ونرث النعيم الدائم.

يا أولادي، أنا أعطي وصيتي لكل واحد منكم، أن لا يدنو من الأسرار المقدسة إلاّ وهو مستبرئ نفسه (يحاكمها فيجدها بريئة). أما إذا كان بينه وبين أخيه وَجْدٌ (حقد) فليمضِ إليه، ويصالح قلبه، ويضرب له مطانية (توبة واستغفار)، وبعد ذلك

يتناول من الأسرار الطاهرة: عالمين أن محبة الإخوة ومصالحة قلوبهم بعضهم من نحو بعض هي النعمة كل النعمة، وهي العبادة وهي الملكوت.

وأما الغضب، والحقد، والتعير (الشماتة)، والحسد، والبغضة، والغش، والرياء، فهذه هي صناعة العدو الملعون؛ ومن يتبع شيئاً منها فهو يشبه بالشیطان ويشغل بصناعته؛ والذي يطلب خلاص نفسه، يهرب من هذه جميعها.

واعلموا أن مخلصنا لم يقاتل الشيطان بارتفاع لاهوته، لكنه وضع نفسه وتنازل حتى غلب كبريائه وتجبره؛ وعلمنا أن نقاتله بهذا التدبير حتى نغلبه؛ فلنلحق باتضاع معلمنا، حتى يعطينا الغلبة في قتال عدونا.

يا أحبائي، اجعلوا أنفسكم غرباء عن هذا العالم، لكي تصيروا أهلاً للخيرات الأبدية.

أول معصية، كانت بسبب الطعام في الفردوس؛ وأول الجهاد الذي جاهد به مخلصنا، حتى غلب العدو، هو بالصوم. فلنجاهد إذن كما علمنا، ونتقدم الآن إلى جهاد الصوم، بحيث يكون تعبهُ حلواً عندكم، واطلبوا الزيادة حتى تأخذوا المكافأة مضاعفاً.

واعلموا أن صوم الأربعين المفروض علينا، ليس الجهاد به وحده يدخل بنا إلى الملكوت، وإنما صوم الأربعين هو الخميرة للسنة كلها، فيجب أن نوفيهِ باحتراس؛ لأن الخميرة إذا فسدت، أفسدت العجين كله.

والصوم مربوط بعدة فضائل، لا يثمر إلاّ معها وبها، وجميعها أنتم تعرفونها؛ فاحترسوا في صومكم من الغفلة، لأن أعداءنا الذين يحسدوننا إذا هم ظفروا بنا لن يَرْتَوْا هلاكنا؛ وكلما غفلنا نحن، ازدادوا هم حرصاً على هلاكنا؛ فلا تُفرحوا أعداءنا، ولا تُكْمَلُوا مشيئة مبغضينا، لأنهم يريدون تبديد أتعابنا.

وفي أيام الخماسين، إذا لم تقدروا أن تصوموا أو تضربوا مطانيات، فالزموا السهر وقراءة الكتب الإلهية، بنشاط، وتمموا خدمتكم بجرص، ولا تتوانوا عن الذهاب إلى الكنيسة، بمخافة؛ واعلموا أن الملاك الموكل بالسرائر المقدسة يعلم المستحق ويفرح به ويطوّبه، أما غير المستحق فيحزن عليه ويعطيه الويل لأنه إنما يأخذ ناراً في جسده.

فاحترسوا يا أولادي وتحفظوا، حتى لا يتقدم أحد إلى الأسرار المقدسة وهو في شك بسبب من الأسباب، لئلا يهلك وهو لا يدري.

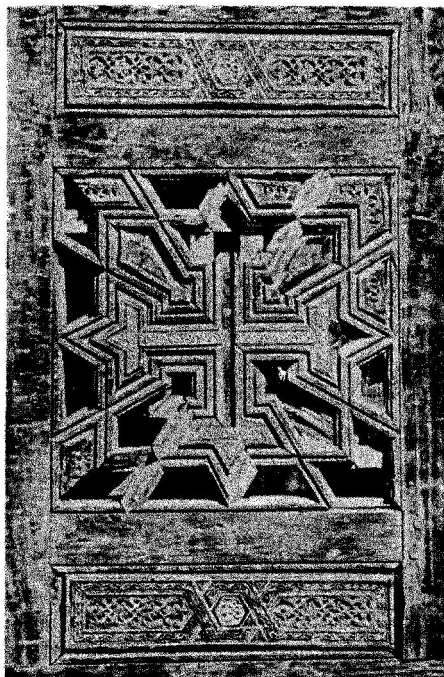
واجعلوا دخولكم في الكنيسة مبكراً، لتسمعوا المزامير والتسبحة ثم قراءة الكتب — كما علمنا الرسل في قوانينهم — قبل أن تأخذوا جسد المسيح ودمه المحيي، لأنه يطرد من نفوسكم كل قوات الظلمة ويطهر قلوبكم من كل دنس، لأنه شفاء للنفس وبه تنحفظ من كل قوات العدو، كما قال سيدنا: «كل من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه».

أما الذي يتهاون ويدوم بلا قربان، فإن قوات الظلمة تقوى عليه، وتدنس قلبه، ويكون غريباً من النعمة التي أعطاهها له محلّصنا.

فينبغي لنا أن لا نترك في أنفسنا علّة تمنعنا من التناول، فنكون ملازمين نقاوة الضمير وطهارة النفس، متحدين دائماً بالمسيح، لأنه بذلك ننتعق من سلطان العدو، ولا يبقى له فينا مطمع، ولا يجد إلينا سبيلاً لخسارة أنفسنا وهلاك تعبنا وإبعادنا من خالقنا.

فتيقظوا بالروح، وامتلئوا بالإيمان، حتى تمضوا إلى الرب بدالة، ووجوهكم مكشوفة، وأعمالكم نيرة، لتستحقوا الدخول إلى أورشليم السماوية، وتناولوا الإكليل الذي لا يبلى؛ وطوبى لمن وجد ذلك عند ظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي له المجد مع أبيه وروح قدسه إلى أبد الدهور آمين.

ثم أنه في نهاية حديثه قال لهم : «أيها الإخوة لَتَبْكُ ، وَلَتَسِيلُ دُمُوعُنَا مِنْ أَعْيُنِنَا الْآنَ ، قَبْلَ أَنْ نَمُضِيَ إِلَى حَيْثُ تَحْرَقُ دُمُوعُنَا أَجْسَادُنَا بِدُونِ نَفْعٍ» . ثم بكى أنبا مقاره ، فبكى الكل معه ، وَخَرُّوا عَلَى وَجُوهِهِمْ قَائِلِينَ : «أَيُّهَا الْأَبُ صَلِّ لِأَجْلِنَا» .



الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل ، بالطابق الثالث

صورة حديثة لجزء علوي من الحجاب ويظهر فيه وحدة لصليب مطقم يُعتبر من أجل وأدق الصلبان المطقمة ، والذي أخذناه في العمارة الحديثة كوحدة متكررة نغز بها في كل مكان بالدير .

نياحته

وتقدم أنبا مقاره في الأيام، وشاخ جداً، حتى بلغ سنه تسعين سنة. وفي المخطوطة القبطية يقول سيرايبون إنه عاش سبعة وتسعين سنة.

[وكان يحمله أولاده، ويجلسونه في حوش قلايته، وما كفت عن صراع الشياطين، وما كفت الشياطين عن الصراع معه، حتى في هذه السن، إذ كانوا يحاولون افتتاح قلايته عليه^(١). وكان أولاده يجاهدون في ترفيهه وهو في كبره، ولكنه لم يتخل قط عن نسكه، مع إظهار شكره ولطفه لكل من كان يخدمه. ولم تكن الأحزان تقلقه، وكان متيقظاً في قلبه بالنعمة التي منحها له الرب منذ صباه وإلى شيخوخته، ولم تفارقه. وكانت نفسه قوية بالله وهو ضعيف أكثر من أيام صحته. وضعف جسده من طول السنين، وانحل لحمه من الأتعاب والأعمال المتعبة التي كان يقوم بها طول حياته، غير أعماله التي كان يفعلها في السر، لأن تجاربه كانت روحانية، والذي كان يفعله ما كان يشعر به إنسان. وإلى وفاته كان متحفظاً جداً من الشئ (المجد) الباطل، كما أُمِر من الكارويم. ونقص أيضاً ضوء بصره من كثرة السهر والتعب وطول السنين، لأن حياته بلغت سبعة وتسعين سنة، حتى بدأ يرقد على الأرض من كثرة ضعفه. وكان تلاميذه يحيطون به، وكان يعزي كل واحد على قدر رتبته ويقول: «الله يعلم أنني ما كتمت عنكم شيئاً، بل خاطبتكم دائماً بما أعلم أنه ينفع أنفسكم، وعملت بينكم على قدر قوتي، وكلّفت نفسي دائماً حتى لا أصير سبباً لاسترخاء أحد منكم، لا كبير ولا صغير، ولا نمت قط ليلة واحدة وفي قلبي غضب على أحد

(1) AMEL., AMG, XXV, p. 96.

منكم، ولا تعدّيت أعمال الله، ولا تجاوزتها، ولا نقضت محبتي لله، ولا محبتي لإخوتي المعروفين لله ولكل الخليقة، الرب يعلم ويشهد عليّ؛ لأنه قال لي مرة: إنك يا مقاره لم تصل بعد إلى درجة أعمال المرأتين، لذلك كان تفكيري فيها باستمرار، أما الظفر والغلبة التي نلتها على العدو فكانت بالقوة والنعمة اللتين نلتها من الله. فلا أذكر قط أنني عملت شيئاً بقوى بل كل ما عملت من أشفية أو رحمة كان بيد قوة الله المقدسة. فاهتموا يا إخوتي بخلاص أنفسكم وتيقظوا لأنني بعد قليل سأؤخذ منكم».

وبعد الكلام معهم صرفهم. وكان كل الرهبان يحبونه ويخافونه كما يخافون الله، لأنه كان بينهم كقائد الجيش الذي يقوي ويعزي جنوده، وأدخله تلميذه إلى مغارته (في الداخل) وانضجع. وفي نحو الساعة السابعة ظهر شخصان قديسان مضيئان، وعليهما مجد وجلال إلهيين، وكل منهما يبتسم إلى الآخر، وتكلم واحد منهما معه قائلاً: «أما تعرف هذا الآخر؟». أما هوفسكت، كعادته، لأنه ما كان يجاوب أحداً بسرعة، بل يتمهل ثم يجاوب، فقال له: «إنه الأب باخوم أب رهبان دوناسة، وقد أرسلنا الرب إليك لندعوك، فاهتم الآن بما تريده، فإنك بعد تسعة أيام ستخلع عنك هذا الجسد، وتأق لتسكن معنا»، ثم غابا عنه.

وظل الأب مطروحاً على الحصير، لا يستطيع أن يقوم من الوجع الصعب، لأنه كان ملتهباً بالحمى كالنار، وفي اليوم السابع والعشرين من برمهات ظهر له الكارويم، الذي كان معه منذ الإبتداء، ومعه جمع كثير من الروحانيين، وقال له: «أسرع وتعال فإن هؤلاء كلهم ينتظرونك». فصاح أبنا مقاره بصوت خافت قائلاً: «يا سيدي يسوع المسيح حبيب نفسي أقبل روحي إليك». وأسلم الروح. ولم يكن في هذه اللحظة معه أحد إلا تلميذه؛ فلما تسامع الإخوة خبر نياحته، اجتمعوا من أطراف الجبل من الأربعة الأديرة، باكين من أجل شعورهم باليتم، لأنه كان أباً لكل واحد منهم، وتقلّدوا منه جميعاً طريق مخافة الله.

واحتسبوا بالجسد في الكنيسة، يتباركون منه، ويقبلونه. وصلوا جميعاً عليه،
وقدموا القداس، واشتركوا جميعاً، ثم حملوا الجسد الطاهر إلى المغارة التي بجوار
البيعة، التي بناها هو في حياته، ووضعوه هناك، وانصرفوا إلى قلايهم بحزن
عظيم.

وكان الأب ببنودة (بافنوتيس) رئيس التلاميذ يعزيهم، لأن الأبوة
والرياسة والتدبير انتقلت إليه بعد نياحة القديس وقد كان رجلاً قديساً صالحاً
مجرّباً في كل الأمور متواضعاً بالأعمال. [٢]



تاج لعمود في كنيسة الشيخ

(٢) مقتطفات من الصفحات الأخيرة لسيرة الأب الطاهر أنبا مقار بقلم أنبا سيرايبون، مخطوطة رقم ١٨ س
بمكتبة دير أنبا مقار. راجعناها على السيرة التي حَقَّقَهَا أميلينو في كتابه باللغة القبطية.

خاتمة وتعليق

القديس مقاريوس شخصية زاخرة بعناصر إنسانية ينبغي أن يُقتدى بها (١)

الإطار العام للشخصية:

١ - المواجهة:

[اعتاد الآباء أن يرووا عن الأب مقاريوس أنه إذا أتاها أخ في خوف، كمن يتقدم إلى قديس عظيم متقدم في الأيام، ما كان يرد عليه، أما إن ابتدره الأخ كمن يتحدث إلى إنسان لا قيمة له قائلاً: يا أباً حينما كنت جميلاً وكنت تسرق النطرون وتبيعه أما وقعت مرة في يد الحراس وضربوك؟ ...، كان الأب مقاريوس يتحدث إليه ويرد على كل أسئلته].

حينما أضع هذه الكلمات كمعيار أعلى لأخلاق القديس مقاريوس، أود أن أجذب قلوبكم إلى سر قوة هذا القديس، وأفودكم بالحق إلى المدخل الخاص أو الواجهة لأعماق روح هذا الإنسان.

إن مضمون هذه الكلمات يفيد بمنتهى الوضوح والسهولة أن القديس مقاريوس يرفض أن تُضاف على شخصيته أية هالة بسبب أعماله أو نسكياته أو رئاسته، فهو يصمّم أن يسلك مع نفسه أولاً ثم مع أولاده بنفس الصفات والأخلاق التي دخل بها

(١) مقالة أُلقيت في عيد القديس أنبا مقاري في ديريه بشيبت ليلة عيد نقل جسده ٢٥ أغسطس ١٩٧٦.

الحياة الرهبانية، وبصريح العبارة كان مقاريوس يلذ له أن يعيش في أعماق نفسه علمانياً — جمّالاً يسرق النظرون — ولا يطيق أن يوهمه أولاده أو مادحوه أنه أفضل من أي علماني، وكأنما يريد أن يقول لنا أن كل ما هوسىء أو ضعيف في حياتي هو هو أنا مقاريوس، أما كل ما هو كريم وفاضل هو هو المسيح الذي يحيا فيّ، فكيف آخذ ما للمسيح وأنسبه إلى نفسي، أو كيف آخذ كرامة المسيح لشخصي؟! إن هذا المبدأ الذي كان يعيش عليه مقاريوس بين أولاده يحدد لنا واجهة الإطار العام لشخصيته:

أ — شخصية أصيلة جداً لا يشوبها أي تزيف من ضُنع الناس والمتملقين.

ب — يعيش واقع نفسه في أضعف صورها، لا يتنكّر لماضيه، ولا يستعطي بمنجزات حاضره.

ج — لا يفرض كرامته ورئاسته على أولاده، بل ولا يقبل أن تكون مواهبه أساساً لعلاقته مع أولاده ومريديه، بل ويفرض — بصمت وأدب جم — على الجميع أن يكون الحديث والمعاملة على أساس من ضعفه لا قوته!

٢ — الخلفية العامة التي يتحرّك فيها القديس أخلاقياً:

قال الأب بيتر عن تباسط القديس مقاريوس في معاملته مع أولاده:

[بينما كان الأب مقاريوس يتباسط مع الإخوة ويتحدث معهم ببساطة قلب وعدم كُلفة (تصاغر)، بادره أحد الإخوة (صنف من الناس الذين يؤلّهون الرؤساء): «لماذا تعمل في نفسك هكذا أيها الأب؟». فإ كان من الأب مقاره إلّا أن قال له: «على مدى اثنتي عشرة سنة وأنا أخدم أمام الله طالباً هذه النعمة (نعمة النفس الصغيرة المتواضعة)، وأنتم تريدون مني أن أتخلّى عنها»].

بهذه الكلمات تتضح لنا شخصية القديس مقاريوس من الزاوية المقابلة للزاوية الأدنى، فإن كان في الكلمات السابقة يفرض القديس مقاريوس على محدثه أن يرفع الكُلفة ليلغي من وجدانه أي إحساس بالخوف أو الهيبة حتى يستطيع مقاريوس أن يعيش ويظهر ويتكلم بصورته البسيطة الأصيلة المحببة إلى نفسه كجمّال بسيط مسافر إلى الوطن

السمائي، نجده هنا في هذه الكلمات يفرض عدم الكلفة عليها على نفسه هو كمتكلم ومتحدث مع جماعات الرهبان من أولاده!!

وقد يبدو لأول وهلة أن هذه كلمات عابرة لسلوك عابر. ولكن القديس مقاريوس يكشف لنا هنا، عن قصد وتعمد، غُمقاً من أعماق حياته السرية جداً مع الله، فهو يعترف أنه ظل اثنتي عشرة سنة يصلي ويصارع مع الله ومع نفسه أن يعبرهوة تَصْنَعُ الرزانة والكرامة والرئاسة والمجد البشري الزائل الذي يُغْرِى به مجتمع الرهبان من نحو الرئيس، لذلك بقي مُلِحاً ومتوسلاً لدى الله أن تكون حياته بسيطة متواضعة قولاً وفعلاً ليقضي كل حياته الرهبانية على مستوى المبتدئين وببساطة روحهم وتواضعهم دون أن يُشعِروهم أو يُشعِروه أنه أفضل من أي أحد فيهم...

ومن رواية الأب بيريكتكشَف لنا، أن منظر مقاريوس وهو يتحدث مع أولاده الرهبان كان مدعاة لسخرية بعض الرهبان المتقدمين الذين وقعوا في فخ الكرامة وتَصْنَعُ المهابة والرزانة الرئاسية التي يفرضها الإنسان المتقدم في السن والدرجة على مَنْ هم دونه، كما يفرضها المجتمع السقيم على مَنْ يترَعَّمه ويرأسه. ولكن من الرد المباشر الحاسم الذي قاله مقاريوس يتضح لنا بكل بيان أن مقاريوس كان على علم تام بمستوى سلوكه المتصاغر المعرض للمواخظة والتهكُّم من هؤلاء المتعظمين في أنفسهم بل ومن اعترافه بأنه ظل اثنتي عشرة سنة يصلي لكي يكون له هذا المستوى المتصاغر البسيط، يؤكد لنا أنه مُصِرٌّ على تصرُّفه كمنهج حياة وخلفية دائمة يتحرَّك فيها، تمنّاها فأخذها من الله كموهبة!!

٣ - المجاملة والمحبة الأخوية عند مقاريوس وثمنها الباهظ :

[حينما كان القديس مقاريوس يأكل مع النُسَّاك، كانوا يقدّمون له بعض النبيذ، فكان يشرب ما يُقدَّم له، ولكنه بعد ذلك كان يضع على نفسه قانوناً بأن يصوم عن الماء أياماً بقدر عدد كوؤس النبيذ التي شربها...].

الآن ندخل أكثر إلى أعماق القديس مقاريوس السرية . فإن كان القول الأول قدّم لنا واجهة للشخصية التي كان يعيش بها مقاريوس ، والقول الثاني أمدنا بالخلقية العامة التي كان يتحرك فيها . فهنا في هذا القول نتعرف على مقدار الضربة الفادحة التي وضعها مقاريوس على نفسه حتى يحتفظ بعلاقات المودة والمحبة الأخوية ومعاملة الرهبان ومبادلتهم لطفاً بلطف .

إن الذي يقرأ هذه الكلمات الخاصة بشرب مقاريوس للخمر بتمعن وتحليل دقيق يدرك في الحال أنه في مواجهة شخصية فذة ، لأنه ما كان أسهل على مقاريوس أن يرفض ما يقدّم له من كؤوس ، فيرتاح من عناء تعذيب نفسه بالصوم ، بل ويزداد كرامة ومهابة عند تلاميذه وإخوته النساك . ولكن هذا بعينه هو الذي كان يخشاه مقاريوس ، فهو أولاً وقبل كل شيء لا يريد أن يُعرف عنه أو يكون له سلوك أعلى (في الظاهر) من بقية أولاده ، وثانياً — وهذا كان عنده في غاية الأهمية — كان لا يريد أن يحرم أولاده من الإحساس بأنهم محبوبون ويلاطفونهم ويقدمون له المحبة . كما وأنه كان لا يريد أيضاً أن يحرم نفسه من فرط السعادة التي كان يحسها هو نفسه من لطف الإخوة ومعاملتهم وحبهم له .

وهنا أصبح الصوم والحرمان الشديد عن الماء عدة أيام عند القديس مقاريوس بمثابة ذبيحة يقدمها لله ثمناً لحب الإخوة وللإبقاء على وداعة ولطف المعاملة بدون ملامة القلب أو جرح الضمير ، لأن مقاريوس كان يعتبر شرب الخمر ترفاً جسدياً لا يناسبه شخصياً !! يا لركة هذا الإنسان !!

٤ — إحترامه الشديد للنفس البشرية مهما كانت خطيئتها :

[يُحكى عن القديس مقاريوس أنه كان في بعض القلاوي أخ صدر منه أمر شنيع ، وسمع به الأب مقاريوس ولم يرد أن يبكته ، فلما علم الإخوة بأمر هذا الراهب لم يطيقوا صبراً . فما زالوا يراقبون الأخ إلى أن دخلت المرأة عنده ، فأوقفوا بعض الإخوة مراقبته ، وجاءوا إلى القديس مقاريوس وأخبروه بالأمر ، فقال لهم :

يا إخوة، لا تصبّقوا هذا الأمر، حاشاً لأخينا المبارك من هذا. فقالوا: يا أبانا، تعالَ وابصر بعينيك. فقام القديس وذهب معهم إلى قلاية الأخ ببشاشة كما لو كان قادماً ليسلم عليه، وأمر الإخوة أن يتعدوا قليلاً، فما أن علم الأخ بقدوم الأب حتى تحيّر في نفسه وأخذته الرعدة، وأخذ المرأة ووضعها تحت الماجور، فلما دخل الأب جلس على الماجور وأمر الإخوة بالدخول، فلما دخلوا فتشوا القلاية، ولم يجدوا أحداً، واحتشموا أن يوقفوا القديس من على الماجور، فأمرهم القديس بالإنصراف، ولما انصرفوا أمسك بيد الأخ وقال له: يا أخي أحكم على نفسك قبل أن يحكموا عليك، لأن الحكم لله. ثم ودعه وتركه...].

في هذه القصة نواجه شخصية القديس مقاريوس في روعة أخلاقية منقطعة النظير لم يشاركه فيها إنسان قط!! وكأنما نحن مرة أخرى في حضرة المسيح نفسه والمرأة الخاطئة والطف الإلهي الفائق من فم المسيح: «ولا أنا أدبتك. اذهبي ولا تخطئي أيضاً.» (يو: ٨: ١١)

القديس مقاريوس هنا، يا إخوة، بلغ الذروة الإنجيلية. لقد لبس صورة المسيح، بل لبس المسيح وأعاد أمامنا قصة المرأة الخاطئة في توافق ومشابهة، بل ومطابقة مبدعة ومذهلة تفوق قدرات الطبيعة الإنسانية.

ما يبهرنى هنا في قصة الراهب والمرأة والماجور هو حساسية مقاريوس المرفهة تجاه مشاعر نفس ذلك الراهب الذي أمسك في ذات الفعل!! يستحيل يا إخوة أن يسلك أب جسدي ولا أب روحي مثل هذا السلوك. إن هذا السلوك لا يأتيه إلّا من أحب النفس البشرية الخاطئة حباً إلهياً على مستوى محبة المسيح نفسه!! القديس مقاريوس رأى نفساً عارية، فخلع ثوب أبوتّه ورئاسته وغطى هذه النفس التي أراد لها الفضيحة كل بني طقسها!!

مقاريوس رأى نفساً بشرية مجروحة جرحاً خطراً، تمكّن منه إخوته، وأدخلوا سيف

فصيحتهم فيه للإجهاز عليه، فتوسّط مقاريوس، وعرض كرامته وعدله وأبوته بل وطهارته للخطر حتى يلتئم الجرح في حمايته وستره فالتأم، وقام ذلك الراهب من كبوته. وكأنما ستره الله إكراماً لركة مقاريوس الخارقة...

لم يرَ القديس مقاريوس الخطيئة، بل رأى نفساً على صورة الله مجروحة، ولم تستطع الخطيئة بشناعتها أن تنال من رقة مقاريوس في معاملته الحساسة جداً تجاه النفس البشرية!! أي نفس وبأي حال!!

٥ - احترامه للأديان الأخرى،

إكراماً للنفس البشرية بمجد ذاتها:

[ذهب القديس مقاريوس مرة من الإسقيط إلى نتريا، وفي الطريق أمر تلميذه أن يسبقه قليلاً. وفي الطريق قابل التلميذ كاهناً وثنياً يجري حاملاً حزمة خشب. وكان الوقت ظهراً، فصرخ التلميذ فيه قائلاً: يا خادم الشيطان إلى أين تجري؟ فاستدار الكاهن وانهاه عليه ضرباً حتى لم يبق فيه سوى نفسٍ قليل.

ولما سار الكاهن قليلاً، قابله مقاريوس قادماً، فحيّاه قائلاً: فلتصحبك المعونة يا رجل النشاط، فاندesh الكاهن وأقبل نحوه، وقال له: أي شيء جميل رأيته فيّ حتى حييتي هكذا؟ فرد عليه مقاريوس: أُنِي أرى كدّك وتعبك وإن كنت لا تدري لماذا. فرد عليه الكاهن: أما أنا فعندما سمعت تحيتك، عرفت في الحال أنك تنتمي إلى الإله العظيم... وأمسك بقدمي مقاريوس، وقال له: لن أدعك تذهب حتى تجعلني راهباً مثلك.]

هذه القصة تصوّر لنا عنصراً هاماً من عناصر تكوين شخصية القديس مقاريوس. فاحترامه الشديد وحساسيته المرهفة من نحو نفسية الراهب الخاطيء في القصة السالفة، ربما توحى إلينا أن رقة مقاريوس كانت مرتبطة ببني جنسه أو ببني طاقسه. ولكن في هذه القصة ينكشف القناع عن مصدر هذا التوقير الفائق الذي كان يعتمل في أعماق

مقاريوس من نحو كل نفس في بني الإنسان .

القصة هنا نموذج رائع كيف بلغ احترام القديس مقاريوس إلى أقصاه من نحو كاهن وثني لا يمتُّ إليه بصلة ما إلّا صلة العداوة المتأصلة والبغضة الرسمية التي يكنّوها الوثنيون من نحو المسيحيين في ذلك الزمان .

ولكن لم تستطع العداوة والبغضة من طرف ذلك الوثني أن تعقّل فعل المحبة واللفظ والإكرام الذي انطبعت عليه نفس مقاريوس .

مقاريوس هنا يقدم ، ضمناً ، احتراماً متحفّظاً لديانة الكاهن الوثني إكراماً لنفسه واحتراماً لإنسانيته ! هذا الشيء الذي يعوز كل البشرية اليوم ، هذا الواجب الأول الذي كان ميراثاً للمسيحيين ، كل المسيحيين ، ففقده فقداناً مزمياً .

المسيحي على طقس تلميذ مقاريوس لا يحترم إلّا نفسه ، إنه يكره دين غيره بلا تحفّظ وهو لا يدري أنه إنما يكره الله الذي على صورته خلقت هذه النفوس جميعاً .

القديس مقاريوس أحب الكاهن الوثني واحترمه وحيّاه تحية صادقة بالحق من القلب — وهو يدري تماماً أن ذلك كله يُضاف إلى ديانتته — فحرّك فيه دون أن يدري عناصر الحق الكامنة في نفسه التي جعلته يتعلّق بمقاريوس ويميل بجملته إلى «إله» مقاريوس .

محبة مقاريوس ولطفه وتكرمه للكاهن الوثني و بالتالي لكهنوت الوثنية لم تكن انتقاصاً من مسيحيتته أو تجاهلاً لكرامة مسيحه أو رياءً يحطّ من قدر ديانتته ، بل كانت عنصراً كريماً فاخراً من عناصر شخصيته التي كانت تعكس نور المسيح ولطفه وعمق تواضعه .

إن شخصية القديس مقاريوس زاخرة
بمعاصر إنسانية ينبغي أن يُقتدى بها .

الفصل الثالث عشر

كتابات القديس أنبا مقار الكبير

الكتابات المنسوبة للقديس أنبا مقار الكبير كثيرة، ولكن قام العلماء مؤخراً بفحصها وتحليلها ونقدها. وقد غالى الكثيرون منهم في نقدها حتى لم يُبقوا على الكتابات المنسوبة لقديسنا الكبير سوى رسالة واحدة، لا توجد إلا باللغة اللاتينية والسريانية، بعنوان: «الرسالة إلى الأبناء الروحيين» Ad Filios Dei، مستندين في صحتها على شهادة المؤرخ القديم جناديوس، حيث يقول عنها:

[مقاريوس الراهب المصري تميّز بشيئين: بمعجزاته وفضائله. وقد ترك رسالة واحدة وجَّهها إلى المبتدئين من بني طقسه، وفيها يعلمهم أن كل من يصل إلى معرفة نفسه، يستطيع أن يعبد الله، إن هو أسلم ذاته لجميع الجهادات، ضابطاً نفسه في كل شيء، على أن لا يكف في نفس الوقت عن الدعاء والتوسُّل، طالباً معونة الله، فإنه يصل إلى طهارة الطبيعة، و يبلغ حالة العفة، كهبة، تُمنح لطبيعته.]^(١)

ونظراً لأهمية هذا الخطاب من الوجهة الرهبانية التعليمية، قمنا بالبحث عنه حتى أعاننا الله وعثرنا على ترجمة فرنسية حديثة له من اللغة اللاتينية، وهي أول ترجمة بلغة حية تظهر في العالم، وقد قدمنا الخطاب مع مقدمته في هذا الفصل.

وعدا هذه الرسالة الأصيلة توجد ثماني رسائل أخرى منسوبة للقديس أنبا مقار، وقد تضافرت آراء العلماء جميعاً على عدم صحة نسبتها للقديس أنبا مقار.

(1) De Viris illustribus, C. 10, PL 58, 163. Quasten, III, p. 166.

ولكننا بالبحث في مخطوطات الدير وجدنا للقديس رسالة هامة باللغة العربية شديدة الصلة بروح القديس أنبا مقار وأسلوبه الإنجيلي في التدبير الرهباني، ونعتقد أنها أصيلة ولو أننا لم نعثر على أصولها بعد باللغة القبطية أو اليونانية، ونقدم هنا للقارئ الرسالة المترجمة عن النسخة الفرنسية:

La lettre de S. Macaire à ses fils

Collectanea O.C.R. t. 24, 1962, pp. 52-59.

رسالة القديس مقاريوس إلى أولاده

مقدمة

من كل الكتابات المنسوبة إلى مقاريوس المصري — الكبير — يوجد عمل واحد يرجح أنه أصيل، وهو رسالته لأولاده الروحيين، وهي عبارة عن مقالة مختصرة عن الحياة النسكية؛ لم يجد لها العلماء أي أصل باللغة اليونانية، لكنها وصلت إلينا في ترجمة لاتينية وأخرى سريانية. وقد نشر Dom A. Wilmart النص اللاتيني نشرة علمية^(١)، وقد جمع Baumstark أهم المخطوطات السريانية التي تحويه^(٢)، كما درس Marriott الاختلافات بينها^(٣).

ولم يقل العلماء حتى الآن (سنة ١٩٦٢) قولاً قاطعاً بالنسبة إلى أصالة هذا الخطاب، غير أنهم قد وجدوا أجزاءً منه في مواضع متفرقة من مجموعة كتابات خاصة

(1) A. Wilmart, La lettre spirituelle de l'Abbé Macaire, Revue d'Ascétique et de Mystique, I (1920) 58, 83.

والنص منشور أيضاً في P.G. 34, 406 بدون تحقيق علمي.

(٢) و(٣) المرجع في الأصل الفرنسي.

بمقاريوس باللغة القبطية كان قد نشرها E. Amélineau في نهاية القرن السابق (٤). وبذلك يكون هذا الخطاب في الأصل مجموعة أقوال لمقاريوس، دونها تلاميذه أولاً، كما وردت في المجموعة القبطية، أو العكس!

أما ورودها في هذه المجموعة القبطية القديمة والأصيلة فهو دليل كافٍ على أصالتها.

وهذه الرسالة هي الكتاب الوحيد لمقاريوس الذي ذكره له العلامة Gennedius de Marseille في كتابه De Viris illustribus. والأرجح أنه دُوّن أصلاً باللغة القبطية، ثم تُرجم إلى اليونانية، ومنها تُرجم إلى اللاتينية والسيرانية.

ومهما كان من أمر، فإن هذا الخطاب قريب جداً من حيث الألفاظ والمعاني الروحية لرسائل أموناس تلميذ أنبا أنطونيوس (المعروفة برسائل القديس أنطونيوس). كذلك فإن أسلوب الخطاب نجده قريباً أيضاً لبعض ما ورد في حياة أنبا أنطونيوس بقلم أثناسيوس. وهذا التشابه يكفي لنقطع بكل تأكيد أن هذا الخطاب يرجع إلى الجيل الأول للرهبنة في مصر. لذلك فله أهمية قصوى.

وحتى وإن كانت هذه الرسالة قد تكونت في الأصل من أقوال متفرقة لمقاريوس دونها تلاميذه، فهي بوضعها الحالي مرتبة ومنسقة. فنحن نجد فيها وصفاً كاملاً للجهاد الروحي وشروطه ونهايته. أي أنها بحث روحي مختصر، وتعتبر من أهم وأول الأبحاث الرهبانية من هذا النوع.

(4) E. Amélineau, Histoire des monastères de la Basse-Egypte

(تاريخ أديرة الوجه البحري)

Annales du Musée Guimet, T. XXV, Paris, 1894.

منشور في مجموعة:

وقد نُشر فيه الكتاب الذي عنوانه: «فضائل القديس مقاريوس» طبقاً للمخطوط 64. Vatican copte، وهو يتضمن نصاً قبطياً — غالباً هو الأصل — للخطاب الذي نشره من فقره ٨ إلى الآخر. (من فقره ٨ — ١٢ حرفياً ثم من فقره ١٣ إلى الآخر مع بعض الاختلافات، كما أن الفقرتين ١ و٢ موجودتان في مكان آخر من نفس المرجع).

والترجمة (الفرنسية) الحالية تعتمد على النسخة اللاتينية للرسالة التي نشرها Wilmart ، مع الرجوع أحياناً إلى النسخ اللاتينية الأخرى ، والنسخ السريانية . كذلك رجعنا أيضاً إلى الأجزاء من الأصل القبطي للرسالة (الموجودة في كتاب Amélineau) .

نص الرسالة

رسالة القديس مقاريوس الراهب إلى أولاده .

١ — حينما يبدأ الإنسان يعرف ذاته ، ولماذا خُلق ، ويبحث عن الله خالقه ، فإنه يتوب أولاً عن كل ما اقترفه في زمن توائيه . وهكذا يعطيه الله الرؤوف حزناً على خطاياہ .

٢ — ثم يعطيه ، بنفس الرأفة ، أن يُتعب جسده بالأصوام والأسهار ، وأن يثابر على الصلاة ويحتقر العالم ، كما يمنحه أن يحتمل الإهانات ، برضى ، ويغض كل نياح الجسد ، ويفضل البكاء على الضحك .

٣ — ثم يعطيه اشتياقاً للدموع والبكاء ، ومسكنة في قلبه ، وتواضعاً ، كما يعطيه أن يرى الخشبة في عينه دون أن يحاول إخراج القذى من عين قريبه ، وأن يردد باستمرار : «إني عارف بإثمي وخطيتي أمامي في كل حين» (مز ٥١: ٣) ، وأن يتفكر في يوم موته وفي مثوله أمام الله ، وأن يتصور الدينونة والعذاب ، وأيضاً الأجر والكرامة التي تعطى للقديسين .

٤ — وحينما يرى الله أن هذه الأشياء تحلوه ، يعرضه للتجربة ، ليراه هل يرفض الشهوات ، وهل يثبت أمام هجمات ولادة هذا العالم الذين غلبوه من قبل ، وأمام ملذات الأطعمة المتنوعة التي تُضعف القلب . فتصل به الحال (تحت التجربة) إلى أنه يعجز تقريباً عن الصوم ، ويكاد يستسلم ، منهزماً بضعف الجسد وطول الزمان ، لأن أفكاره المعادية تقول له : « كم من الزمان تستطيع أن تحتمل هذه الأتعاب ؟ » ، وأيضاً : « إنه

لتعب مرير أن تستحق حلول الله فيك ، لا سيما وأنك قد أخطأت بهذا المقدار» ، ثم أيضاً : «هل يستطيع الله أن يغفر لك كل هذه الخطايا ؟» .

٥ — ولكن حينما يتيقن الله أن قلبه يبقى ثابتاً في مخافته ، وأنه لا يترك المكان الذي جاء ليسكن فيه ، بل يقاوم بشدة ، فإنه يسمح بأن تأتيه أفكار أخرى توحى له قائلة — وهي متخذة فرصة ببره : «صحيح أنك أخطأت ، غير أنك قد قلّمت توبة ، فقد صرت منذ الآن قديساً» ، وتذكّره بخطايا بعض الناس الذين لم يتوبوا ، وبذلك تزرع المجد الباطل في قلبه .

٦ — ثم أن الأبالسة لا تكتفي بذلك ، بل تجعل أيضاً بعض الناس يمتدحونه بإفراط ، ويدفعونه إلى أعمال لا يقدر أن يقوم بها ؛ وتوحى له بأفكار ، كأن يمتنع عن الأكل أو الشرب أو يغالي في السهر ، وبأفكار أخرى كثيرة يطول ذكرها ؛ بل وتعطيه سهولة للقيام بها ، محاولة بكافة الوسائل أن تحتذبه إليها (أي إلى هذه الأعمال) مع أن الكتاب يحذّر قائلاً : «لا تَمِلْ يَمَنَةً ولا يَسْرَةً بل اسلك في الطريق المستقيم .» (راجع أم ٤ : ٢٦ و ٢٧)

٧ — ولكن إن لاحظ الله أن قلبه لم يملْ إلى أيّ من هذه التجارب ، التي سبق داود فتكلّم عنها قائلاً : «جَرَّبْتُ قلبي وافتقدته ليلاً . محصّنتي بالنار لكن لم يوجد فيّ إثم» (مز ١٧ : ٣) ، حينئذ ينظر إليه الله من سمائه المقدسة ويحفظه بلا عيب . ولا حظوا جيداً أن داود لم يقل «نهاراً» بل «ليلاً» ، لأن خداعات العدو هي ليل ، كما يقرّر أيضاً بولس الطوباوي : إننا لسنا أولاد ظلمة بل أولاد نور . فإن ابن الله هو بالحقيقة «نهار» بينما يشبه إبليس بـ «الليل» .

٨ — ومتى تجاوزت النفس كل هذه المحاربات ، فإن الأفكار توحى لها بشهوة الزنا (والنجاسة) . وفي كل ذلك تشعر النفس بضعفها ، ويزبل القلب ، لدرجة أنه يتوهم أن حفظ الطهارة أمر يستحيل عليه ؛ فإن الأفكار ، كما قلت ، تبيّن له طول الزمان ، من

جهة، وصعوبة الفضائل، من جهة أخرى، وكم أن حملها ثقیل لا يُحتمل، وتضيف إلى ذلك أيضاً ضعف جسده وهوان طبيعته.

٩ — وإن لم يكل أمام هذه المحاربات، فإن الله الرؤوف والرحوم يرسل له قوة مقدسة، ويثبت قلبه، ويعطيه الفرح والنياح والقدرة على أن يقوى على أعدائه، بحيث أن هجومهم عليه لا يخرجه، لأنهم يخافون القوة الساكنة فيه، هذه التي قال عنها القديس بولس: «جاهدوا فتتالوا قوة» (كو ١: ٢٩)، والتي تعرض لها أيضاً الطوباوي بطرس في حديثه عن «الميراث الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السموات لأجلكم، أنتم الذين بقوة الله محروسون بالإيمان.» (١ بط ١: ٤ و ٥)

١٠ — ومتى رأى الله الرؤوف المتحنن أن قلبه قد صار أقوى من أعدائه، فإنه يسحب عنه بالتدريج القوة التي كانت تسنده، ويسمح لأعدائه أن يهاجموه بنجاسات الجسد المختلفة وبشهوة المجد الباطل والعظمة، وبتجارب الخطايا الأخرى التي تجذب إلى الهلاك، حتى إنه يكاد يشابه سفينة بلا دفة، تتخط من كل ناحية على الصخور.

١١ — ولكن متى صار قلبه وكأنه قد ذبل، وكاد أن يكون قد عثر في كل من تجارب العدو، فإن الله محب البشر والمعتني بخلقته يرسل فيه قوة مقدسة، ويثبتته، ويخضع قلبه ونفسه وجسده وكل أعضائه إلى نير الباراقليط، لأنه هو قد قال «احملوا نيري عليكم، وتعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب.» (مت ١١: ٩)

١٢ — وهكذا يبدأ الله الرؤوف، أخيراً، يفتح أعين قلب (الإنسان)، لكي يفهم أن (الله) هو الذي يثبتته، وحينئذ يبدأ الإنسان يتعلم بالحقيقة كيف يعطي مجداً لله بكل تواضع وانسحاق قلب، كما يقول داود: «الذبيحة لله روح منسحق» (مز ٥١: ١٧)، لأنه من صعوبة ذلك الجهاد، يتولد التواضع وانسحاق القلب والوداعة.

١٣ — ومتى تجرّب بكل هذه الأنواع، فإن الروح القدس يبدأ يعلن له الأشياء

السماوية، أي كل ما يعود بالإستحقاق والعدل على القديسين، وعلى الذين وضعوا رجاءهم في رحمته. وحينئذ يتفكر الإنسان في ذاته و يردد قول الرسول: «إن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا» (رو ٨: ١٨)، وأيضاً قول داود: «ماذا لي في السماء؟ ومعك كم من الأشياء أردت في الأرض؟» (مز ٧٣: ٢٥) ومعناه: يا رب كم أعددت لي في السماء؟ وأنا كم من الأشياء طلبت معك في الحياة الفانية؟ وهكذا أيضاً تعلن له العذابات التي تنال الخطاة، وأشياء أخرى كثيرة يفهمها كل رجل قديس بدون أن أذكرها.

١٤ — وبعد هذا كله يقطع الباراقليط عهداً مع نقاوة قلبه وثبات نفسه وقداسته جسده وتواضع روحه، فيجعله يتجاوز كل الخليقة، و يعمل فيه، بحيث أن فمه لا يتكلم بأعمال الناس، وأنه يرى المستقيم بعينه، و يضع حارساً لفمه، و يرسم طريقاً مستقيماً لخطواته، و يقتني برّ يديه أي (بر) أعماله، والمثابرة في الصلاة مع تعب الجسد والسهر المتكرر. ولكن هذه الأشياء يربّتها الباراقليط فيه بقياس وإفراز، وليس بتشويش، بل بهدوء.

١٥ — ولكن إن تجاسرت روحه فقاومت ترتيب الروح القدس نفسه، فإن القوة التي وُضعت فيه تنسحب، و بذلك تتولد في قلبه محاربات واضطرابات، ثم تضايقه آلام الجسد في كل لحظة بمهاجمة العدو.

١٦ — ولكن إن تاب قلبه وتمسك بوصايا الروح القدس (من جديد)، فإن معونة الله تكون عليه. وحينئذ يفهم الإنسان أنه خير له أن يلتصق بالله في كل حين، وأن حياته هي في (الله) كما يقول داود: «صرخت إليك فشفيتني» (مز ٣٠: ٢)، وأيضاً: «لأن عندك ينبوع الحياة.» (مز ٣٦: ٩)

١٧ — فمن رأيي، إذن، أن الإنسان إن كان لا يقتني تواضعاً كثيراً، وهو قمة جميع الفضائل، وإن كان لا يضع حارساً لفمه ولا يجعل خوف الله في قلبه؛ وإن كان لا يمتنع

عن تزكية ذاته بسبب الأشياء التي يتوهم فيها أنه أصلح من غيره، وكأنه قد فعل خيراً ما؛ وإن كان لا يحتمل، برضى، الإهانات التي تقع عليه، ولا يقدم الخد الآخر للذي يلطمه، وإن كان لا يندفع، بعزم، نحو كل عمل صالح ليقنتيه؛ وإن كان لا يحمل نفسه في يده كأنه يموت كل يوم؛ وإن كان لا يعتبر كل الأشياء التي ترى تحت الشمس كأنها باطلة، ولا يردد في نفسه: «لي اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح» (في ١: ٢٣)، وأيضاً: «لي الحياة هي المسيح والموت هوربح» (في ١: ٢١)؛ فإنه لا يستطيع أن يحفظ وصايا الروح القدس. آمين.

(ملاحظة: الإقتباسات الكتابية مختلفة أحياناً عن نصها في طبعة بيروت وهي مترجمة حرفياً عن نص القديس مقاريوس).



صليب من الرخام بالحفر تحيط به نقوش بدعية. ويلاحظ وجود طائر ين (ربما حمامتان) على جانبي الصليب من أسفل. ويُظن أنه كان ضمن نقوش إما لقان أو مديح. وهو محفوظ الآن بالمتحف.



صورة للدير النقطت من الجو (من طائرة هليو كوبر).



مغارة القديس أنبا مقار - اكتُشفت حديثاً.



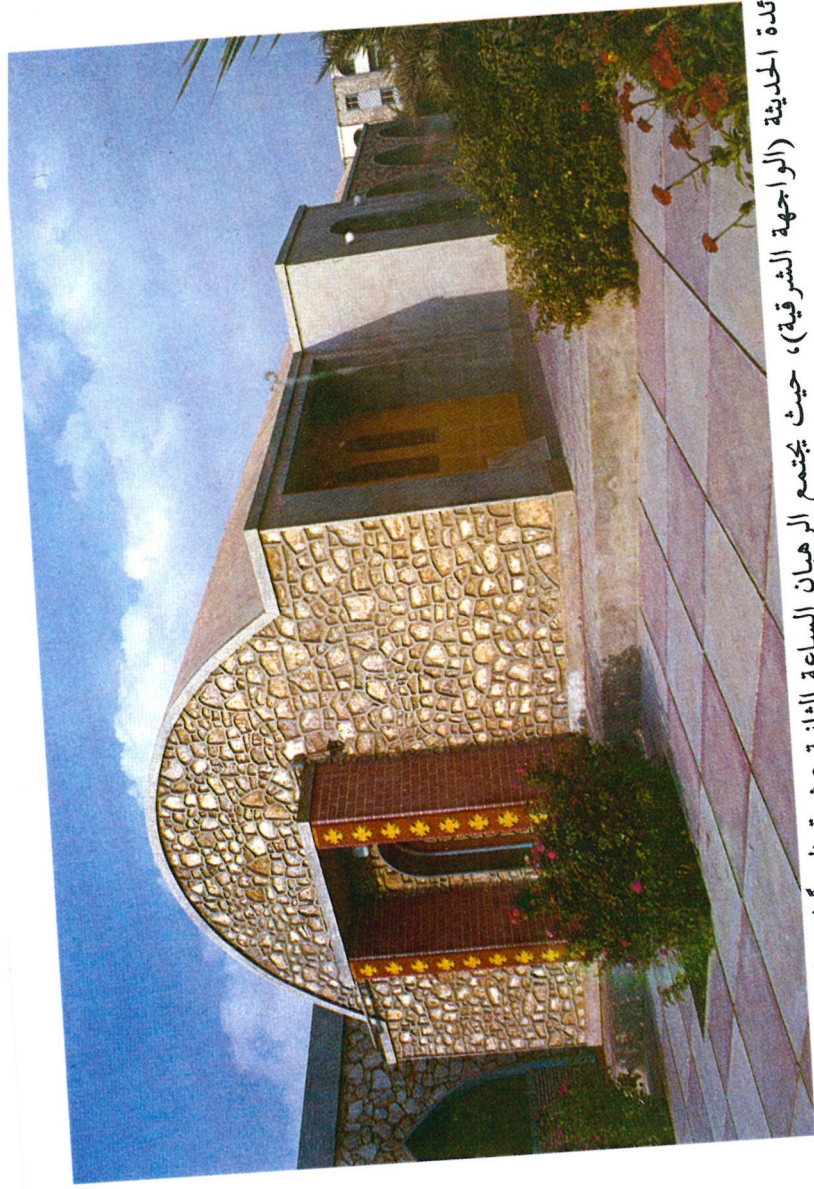
كنيسة التسعة والأربعين شهيداً (الوارجنتان الشرقية والقبليّة والمدخل)



الجوسق (أي الحصن)
Castle = القسطة
الذي كان يلتجئ إليه الرهبان من غارات البربر



رسم حائطي يبين القديس باخوميوس أب الشركة وبجواره إلى أعلى اليمين
ثلاثة مفاتيح ترمز إلى النذور الثلاثة للرهبة (الفقر - الطاعة - العفة)،
وإلى أقصى اليمين تلميذه ثيودوروس.



المائدة الحديثة (الواجهة الشرقية)، حيث يجتمع الرهبان الساعة الثانية عشرة ظهراً لتناول وجبة اليوم معاً.
حسب طقس الرهبان الأول

الفصل الرابع عشر

الذكصولوجيات

أي التماجيد الخاصة بالقديس أنبا مقار

مقدمة

الذكصولوجيتان الواردتان في كتاب الأبصلمودية المقدسة السنوية (كتاب التسبحة) يتضح من كلمات الأولى منهما أنها مؤلفة خصيصاً لمناسبة عودة جسد القديس أنبا مقار إلى شيهيت، وربما يكون قد جاء تأليفها في نفس زمن عودة جسده، أي في حوالي سنة ٧٨٤م، وذلك يظهر من الكلمات القائلة (كل طائفة الرهبان تسبح وتبارك الله لأجل مجيئك إلينا يا أبانا القديس أنبا مقار)، ولذلك فليس من الصواب ما كُتب في بداية هذه الذكصولوجية أنها تُقرأ في ٢٧ برمهاث - وهو يوم نياحته - ٨ طوبة؛ بل الأصح أن يُقال: «تُقرأ في ١٩ مسرى وهو يوم وصول جسده إلى شيهيت» (*). أما الثانية فيتضح من كلماتها أنها مؤلفة في العصور الحديثة نوعاً ما، وذلك يظهر من قول مؤلفها: (فلهذا يفدون إليك من أقاصي الأرض، من رومانيا وسوريا والمشرق وأسبانيا. وليس فقط في الزمان الغابر بل هوذا الآن أيضاً يفدون من

(*) الأعياد التذكارية للقديس أنبا مقار هي:

- (١) تذكّار نياحته ٢٧ برمهاث (= ٥ أبريل).
- (٢) تذكّار رجوعه من المنفى ١٣ برمهاث (= ٢٢ مارس).
- (٣) تذكّار تدشين الكنيسة التي بناها في المنفى بعد تعميد أهل الجزيرة ١٠ طوبة (١٨ يناير).
- (٤) تذكّار وصول جسده إلى شيهيت ١٩ مسرى (٢٥ أغسطس).
- (٥) تذكّار تدشين هيكل أنبا بنيامين بكنيسة أنبا مقار ٨ طوبة (١٦ يناير).

كل مكان يسجدون على جسدك المقدس).

وبالإضافة إلى هاتين الذكصولوجيتين فقد عثر العلامة إفلين هوايت ضمن أوراق مفردة مخطوطة ومدشوة بالدير وثيوتوكيات قديمة جداً ومهملة في أرضية غرفة المكتبة بالحصن - على عدة ذكصولوجيات هامة باللغة القبطية ذات إلماحات مبدعة من سيرته وحياته ونسكه ووصف لشخصيته وللقة الإلهية التي رافقته، وقد قمنا بترجمتها هنا وأضفناها باللغة القبطية في مواضعها بالإبصلمودية الخاصة بالدير للتسبيح بها في مواسمها الخاصة، ونعتقد أنها من أقدم الذكصولوجيات المعروفة لفراة أسلوبها التاريخي والوعظي.

الذكصولوجية الأولى(١)

وتاريخ نساختها من القرن الرابع عشر بدير القديس أنبا مقار، آخرها مفقود، الباقي ١٥ بيتاً شعرياً، وتدل على مهارة أدبية ومنظومة على أساس سيرته.

كان رب المجد مع البار اللابس الروح أنبا مقار، لأنه قد عيّن له قوة مقدسة هي الشارويم لتكون معه منذ الابتداء.

إذ بينما كان في مغارته جالساً يتأمل في الأسفار المقدسة يوماً من الأيام، ظهر له الشارويم متكلماً معه بهذا الخصوص قائلاً:

يا مقارة انظر إلى نفسك ولا يستعلي قلبك بسبب تمجيد الناس، لأنك لو أكملت كل الفضائل فعليك أن تقول أنا خطييء.

اهتم بكرمك لأنه بلغ أوان الإثمار فلا تدع الثعالب المفسدة تتلفه.

(١) Ev. White, I, p. 120, 121.

واهتم بشجرة حياتك لئلا تبدد طرحها طيورُ السماء.
 واهتم بكنزك الذي جمع كل الصالحات حتى لا ينقبه السارقون.
 واهتم بمركبتك التي وسقت من كل الخيرات الملكية لئلا يفسد العدو خطتك.
 فلما سمع أنبا مقار ذلك الكلام بكى قائلاً:
 ويحي يا لكبرياء قلبي أنا الخاطيء، كيف تريد الأرواح الشريرة أن تهلك نفسي.
 ويحي يا لكبرياء قلبي أنا الخاطيء، كيف حتى الآن لم أقبل الآلام عن أخي.
 فلما سمع منه الشاروويم ذلك مدحه واستحسنه.

الذكصولوجية الثانية

وعنوانها: «أنبا مقار وأولاده»، وكان بآخرها بيتان مفقودان استطاع إفلين هويات أن يكملها من كتاب «ثيوتوكية» آخر موجود بمكتبة الفاتيكان^(٢).
 وقد ألفها كاتبها على أساس ما جاء في السيرة أيضاً بأنه كان معه الشاروويم كقوة معزية ومُعينة، وأن أنبا مقار عاش حتى رأى الأديرة الأربعة تنمو وتزدهر بأولاده وأولاد أولاده.

ذكصولوجية لحن واطس:

Πιχεροῦνιμ εὐμνηῖρος: παῖς ἡνωτ αββα Πακαρι: ψαῖντερενκ ἐνιψαχετ: εἰσι ἡ ἀνθρωπον	الشاروويم الذي رافقك يا سيدي أنبا مقار: حتى أحضرك إلى هذه البراري كان له أربعة أوجه.
---	--

(2) Theotokia (Cod. Vatic. Copt., XXXVIII).

Οὐτοῦμοῦτινεμοῦτο ἡμας: οὐτοῦ ἡρώμινεμοῦτο ἡ δ' ἐτος: φαίπε ἡ τῦπος ἡπι Χερὸν βιμ. κατὰ ἡσαχι ἡνιῶρα φη.	وجه أسد وجه ثور: وجه إنسان وجه كالنسر: كان هذا منظر الشاروبيم بحسب الأسفار المقدسة.
Ενναῖνι ἡπιζοῦμοῦτι: ἔχεν πενιωτὰ ββα Πακαρι: χεῖ ἡθοῦ αὐψωπι ἡνοῦμοῦτι ἐφῆμεν: οὐβε ἡπῆνα ἡπονηρον.	وأنا أشبه وجه الأسد بأينا أنا مقار: لأنه صار أسداً قوياً ضد الأرواح النجسة.
Ενναῖνι ἡπιζοῦμας: ἔχεν πενιωτὰ ββα Ἰωα: χεῖ ἡθοῦ αὐβοῦ ἡπιψε ἐτῶσῶτ: αὐφίρι ἐβοῶ αὐτὸν καρπος.	وأشبه وجه الثور بأينا أنا يوحنا: لأنه زرع عوداً يابساً في أرض قفرة وسقاه حتى أثمر.
Ενναῖνι ἡπιζοῦ ἡρώμι: ἔχεν πενιωτὰ ββα Πιψωι: χεῖ ἡθοῦ αὐσαχι νεμ Πχς: ἡφρητ ἡΰτς ἡς πινομοῦετς.	وأشبه وجه الإنسان بأينا أنا بيشوي: لأنه تكلم مع المسيح مثل موسى مُعطي الناموس.
Ενναῖνι ἡπιζοῦ ἡ δ' ἐτος: ἔχεν πενιωτὸν ἡρώμεος: χεῖ ἡθωσῶτ αὐτὸν ἡζαντεν ἡχρωμ: αὐτῶν σαδῶν ἡνιῶα φετ.	وأشبه وجه النسر بأبونا الروميين: لأنهما أخذَا أجنحة نارية وعبرا هذه الصحاري.

ΙϷϯωσϷⲡⲓϭⲁⲙⲉⲃωϥⲁϥⲓ ⲉⲃⲟⲩⲛⲉⲛⲓⲱⲁϥⲉⲧⲁϥⲉⲣϥⲟⲣⲓⲛ ⲓⲡⲓϭⲗⲟⲙⲛⲁⲧⲗωⲙⲛⲛⲧⲉ ⲧⲙⲉⲧⲙⲁⲣⲧⲧⲣⲟⲥ.	وهوذا أيضاً موسى الأسود أتى إلى هذه الصحاري: ولبس إكليل الشهادة الذي لا يبلى.
ⲡⲓⲙⲉⲓⲙⲁⲣⲧⲧⲣⲟⲥⲛⲓⲃⲉⲗⲗⲟⲓ ⲛⲧⲉⲛⲓⲱⲁϥⲉⲧⲁⲓⲛⲓⲃⲁⲣⲃⲁⲣⲟⲥ ⲃⲟⲧⲉⲃⲓⲙⲱⲟⲛⲧⲉⲗⲓϥⲉⲛⲧⲡⲉⲧⲣⲁ ⲛⲧⲉⲡⲓⲁⲙⲟⲩⲛ.	والتسعة والأربعون شهيداً: شيوخ البرية: البربر قتلوهم عند صخرة البيامون.
Ⲭⲁⲛⲓⲁⲉⲗⲗⲁⲣⲓⲁⲥⲧⲁⲛⲓⲁⲉ ⲁⲛⲁⲥⲧⲁⲥⲓⲁⲥⲧⲁⲛⲓⲁⲉⲁⲣⲓⲱⲩⲧⲙⲓⲁⲥ ⲛⲓⲱⲉⲗⲉⲧⲛⲧⲉⲡⲭⲥ.	والقديسة إيلارية والقديسة أنستاسيا والقديسة أربسيما صرن عرائس للمسيح.
ⲡⲓⲧⲟⲡⲟⲥⲧⲏⲣⲟⲩ ⲉⲧⲁⲕⲥⲉⲙⲛⲏⲧⲟⲩⲧⲁⲥⲟⲥⲛⲓⲱⲧ ⲁⲃⲃⲁⲧⲁⲕⲁⲣⲓⲥⲉⲛⲁⲕⲏⲛⲁⲛ ⲉⲧⲧⲟⲩⲧⲁⲃⲥⲱⲁⲧⲥⲧⲏⲧⲉⲗⲓⲁ ⲛⲧⲉⲡⲁⲓⲉⲛⲉⲃ.	كل المواضع التي أسستها يا أبانا أنبا مقار: لن تكف عن أن تعطي أثمارها حتى نهاية الدهور.
ⲧⲱⲃⲉⲓⲙⲡⲃⲟⲓⲥⲉⲃⲣⲏⲓⲉⲭⲱⲛⲥ ⲡⲁⲥⲟⲥⲛⲓⲱⲧⲁⲃⲃⲁⲧⲁⲕⲁⲣⲓⲛⲉⲙ ⲛⲉⲕⲱⲛⲣⲓⲛⲥⲧⲁⲧⲣⲟϥⲟⲣⲟⲥ ⲛⲧⲉⲣϭⲁⲛⲉⲛⲛⲟⲃⲓⲛⲁⲛⲉⲃⲟⲗ.	أطلب من الرب عنا يا أبانا أنبا مقار: مع أولادك لبّاس الصليب ليغفر لنا خطايانا.

الذكصولوجيتان الثالثة والرابعة

وهما أصلاً كانا ضمن كتاب الدفنار. الأولى واطس والثانية آدام، وهما مخصصتان للتسبيح في عيد تذكّار أنبا مقار في ٢٧ برمها، والذكصولوجية الأولى مكتوبة أيضاً في كتاب التسبحة. وفي قانون قراءة هاتين الذكصولوجيتين (في المقدمة بالخط الأحمر) أنهما تقرأ أيضاً في ١٩ مسرى وهو عيد نقل جسد أنبا مقار.

الذكصولوجية الثالثة:

(السابع والعشرين من برمها. واطس. أبا مقار).
فلتتهل وتفرح براري شيهيت ولتطلق بخورها العطرة كزنايق الحقل...
وليتزمن ويسبّح معاً كل الرهبان من أجل مجيئك إلينا أيها العظيم أنبا مقار.
لأنه هوذا بواسطتك صارت البراري كالمدين، والموضع الذي بلا إنسان امتلاً
بقديسي الله.

لقد منطقتهم كالجناد فصاروا أبطالاً وجبابرة بأس ضد التين المرتد وجماعته الشريرة.
لهذا نتوسل إليك نحن أولاد صلواتك، اسأل الرب عنا ليغفر لنا خطايانا.
في برمها، رقدت وارتحت، في اليوم السابع والعشرين من هذا الشهر.
وقد جاءك الشاروبيم مع صفوف الملائكة وجمع الأبرار.
وتحدث معك كما يتحدث الإنسان مع صاحبه. أسرع وتعال لأن كل
هؤلاء ينتظرونك.

فأجبت بالفرح الذي ملأ قلبك: «يا ربي يسوع في يديك أستودع
روحي».

الذكصولوجية الرابعة:

(السابع والعشرين من برمهات. آدام. أبا مقار).
طوباك يا أنبا مقار، يا حامل الروح وأب كل الرهبان.
لقد جاهدت الجهاد الحسن في ميدان الركض حتى نلت الدعوة لوليمة العشاء.
لقد صرت لنا مثلاً لاكتساب الآداب الرهبانية والصلاة والصبر.
لقد صرت أولاً تلميذاً وخادماً للحكمة، صانعاً لإرادة سيدك حسناً.
فسمعت الصوت: نعماً أيها العبد الصالح الأمين.
لأنك كنت أميناً في القليل ادخل الآن إلى فرح سيدك.
بصلوات القديس أنبا مقار يا رب انعم لنا بمغفرة خطايانا.

الذكصولوجية الخامسة

(أبا مقار وقديسو شيهيت)

السلام لأنبا مقار الشبكة التي اصطادت كل مَنْ صادفها إلى طريق الله. الذي
أليس أولاده الإسكيم المقدس، وعلمهم كيف يسكنون متوحدين في مغائر الأرض.
مكرم جداً فوق حدود النطق أنبا يوحنا القمص، لأن من أجل طهارته صارت
الوحوش أمامه كالحمالان، ومن أجل طاعته أزهى العود الناشف وأثمر.
لقد انخلت أفكاري مني وتاه عقلي عن أن يجد قولاً مستحقاً لكرامتك أيها
الرجل (الكامل) يا أبانا أنبا بيشوي، يا مَنْ ركضت حسناً في ميدان الجهاد.
السلام لمكسيموس ودوماديوس أبوين الروميين اللذين أتيا من الكورة (البعيدة)،
إذ لما رفعاه صليهما سارا وراء المسيح حتى أتيا إلى جبل أنبا مقار المقدس.
لقد صارا مثل يوحنا البتول الطاهر وأخيه يعقوب بن زبدي، لما تركا أباهما
وشبكتهما في المركب وتبعوا المسيح بقلب مستقيم.

فِعْوَضُ الشَّبَكَةِ وَالْبَحْرِ جَعَلَهُمَا صِيَادِي النَّاسِ.

وَمَكْسِيمُوسُ وَدُومَادْيُوسُ تَرَكََا غَنَاهُمَا وَقَصْرَ الْمَلِكِ، اِزْدَرَيَا بِأَمْلَاكِهِمَا وَتَرْجِيَا
مُلْكَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، فُورْثَا الدَّيْرَ (لَا فَرَا Lavra) الرَّابِعَ الَّذِي اخْتَارَهُ الرَّبُّ فِي الْبَرِيَّةِ
(دَيْرُ الْبَرَامُوسِ).

السَّلَامُ لِأَيُّنَا أَبَا يُونَانِسَ كَامَا ... (نَاقِصٌ) ... الَّذِي أَسَسَ مِينَاءَ خِلَاصٍ لِنَفُوسِ
كَثِيرَةٍ وَرَعَاهَا حَتَّى اكْتَمَلَ خِلَاصُهَا.
السَّلَامُ لِلتَّسْعَةِ وَالْأَرْبَعِينَ الشُّيُوخِ الْمُبَارَكِينَ الَّذِينَ سَفَكُوا دِمَاعَهُمْ عَلَى رَأْسِ
الصَّخْرَةِ.

السَّلَامُ لِإِيلَارِيَا وَأَنَاسْتَاسِيَا وَأَرْبَسِيمَا عِرَائِسِ الْمَسِيحِ.

السَّلَامُ لِأَيُّنَا أَنْبَا مُوسَى الْجَنْدِيِّ الْقَوِي أَوَّلَ الشُّهَدَاءِ فِي هَذَا الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ.
طُوبَاكَ أَنْتَ يَا أَنْبَا مُقَارَ لِأَنَّ إِلَهَ السَّمَاءِ قَدْ أَعْطَاكَ الْمَجْدَ الْأَعْظَمَ، وَأَعْلَمَكَ أَنَّكَ
تَرَى أَوْلَادَكَ وَأَوْلَادَ أَوْلَادِكَ، وَيَكُونُوا إِكْلِيلَكَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ.

* * *

ذكصولوجية للقديس أنبا مقار

كان رب المجد مع أيينا البار
صلى فأعطاه الشاروبيم
إذ بعد ما أكمل تدبير المغارة
صائماً متوسلاً بحرارة
انظر إلى نفسك ولا يستعلي قلبك
حتى إذا أكملت الفضائل
نقّ كل يوم عناقيد كرمك
ولا تدع الشعالب الصغيرة
واهتم يا مقارة بشجرة حياتك
والمسيح لما يزيد طرحها
واسهر يا مقارة على كنزك
حتى لا ينقب السارقون
وأعبر بمركبتك بحر الضيقات
بخطبة إلهية حتى المينا
فلما سمع هذا التحذير
ويحي يا لكبرياء قلبي
ويحي ويا لحزني أنا الفقير
من اليوم ساحل أُنقال أخي
أطلب من الرب عنا
مع أولادك لبّاس الصليب

اللابس الروح أنبا مقار
كقوة مرافقة على الدوام
ساهراً كل يوم يتأمل الأسفار
ناداه الشاروبيم يا مقارة
واسمع لصوتي فأنا سنذك
تقول أنا خاطيء وتراب زائل
لأن زمان الأثمار وافى جيلك
تفسد حصيلة السنين الكثيرة
بتواضعك ودموعك وصلواتك
احرسها من الطيور الجارحة
الروح الناري الساكن في قلبك
ويشمت بك الشامتون
التي وسقت من كل الخيرات
كرامة ومجداً لفادينا.
بكى قائلاً بصوت كسير:
أنا صغير عن هذا يا ربي
كيف أستأمن على هذا الكثير
وأقبل الآلام عوض فرحه
يا أبانا أنبا مقاريوس
ليغفر لنا خطايانا.

ذكصولوجية للقديس أنبا مقار وأولاده الروحين

يا سيدي أنبا مقار
كان له أربعة أوجه
وجه إنسان ووجه كالنسر
بحسب الأسفار المقدسة
بأبيننا أنبا مقار
ضد الأرواح النجسة
بأبيننا أنبا يوحنا
في أرض قفرة حتى أثمر
بأبيننا أنبا بيشوي
مثل موسى معطي الناموس
بأبيننا الروميين
وعبرا هذه الصحاري
أقن إلى هذه البراري
إلذي لا يبلى
شيخوخ البرية
صخرة البيامون
وأناستاسيا وأريسيا
بطهارة حقيقة
التي أسستها يا أنبا مقار
أثمارها حتى نهاية الدهور
يا أبانا أنبا مقاريوس
ليغفر لنا خطايانا .

الشارويم الذي رافقك
حتى أحضرك لهذه البراري
وجه أسد ووجه ثور
كان هذا منظره
وأنا أشبّه وجه الأسد
لأنه صار أسداً قوياً
وأشبّه وجه الثور
لأنه زرع عوداً يابساً
وأشبّه وجه الإنسان
لأنه تكلم مع المسيح
وأشبّه وجه النسر
لأنها أخذت أجنحة نارية
وهوذا أيضاً موسى الأسود
ولبس إكليل الشهادة
والتسعة والأربعون شهيداً
سفكوا دماءهم على
والقديسة إيلارية
صرن عرائس للمسيح
وهكذا المواضع المقدسة
لن تكفّ عن أن تُعطي
أطلب من الرب عنا
مع أولادك لبّاس الصليب

**كتابات الأب متى المسكين
بعد انتقال قدس الأب متى المسكين
(١٩١٩م-٨ يونية ٢٠٠٦م)
صدرت هذه الكتب عن قدسه**

كود	إسم الكتاب
٦٥٠	أبرنا القمص متى المسكين (السيرة الذاتية) - الطبعة الثانية (مزيدة) - (جديد)
٦٥٥	أبرنا متى المسكين السيرة التفصيلية - تجليد فاخر
٦٥١	رسائل القمص متى المسكين - تجليد عادي
٦٥٢	رسائل القمص متى المسكين - تجليد كرون
٦٥٣	صلوات الأب متى المسكين - تجليد عادي
٦٥٤	صلوات الأب متى المسكين - تجليد فاخر
١٤٠٠٨	صلوات الأب متى المسكين - CD
١٤٠٠٦	ندوة الأب الروحاني المنقذة بالجلوس الأعلى للثقافة CD
١٤٠٠٩	صلوات التجنيز على روح قدس الأب متى المسكين CD
٦٥٦	أحاديث الأب متى المسكين
٦٥٧	هجرة المسيحي إلى الله (جديد)
٦٥٨	أسس الحياة المسيحية
أولاً: المجلدات:	

سلسلة تفاسير الكتاب المقدس

كود	إسم الكتاب
٤	المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا
٥	شرح إنجيل يوحنا - جزء ١
٦	شرح إنجيل يوحنا - ج ٢
٤٠٠ - ٤٢٩	أصاحاحات شرح إنجيل القديس يوحنا - ملازم منفصلة - طبعة شعبية
٢٩٠	شرح إنجيل القديس متى
٣٠٠ - ٣٢٦	أصاحاحات شرح إنجيل القديس متى - ملازم منفصلة - طبعة شعبية
١٣٦	شرح إنجيل القديس مرقس
١٣٨	شرح إنجيل لوقا
٢	القديس بولس الرسول
٣	شرح رسالة رومية
١٣٢	الرسالة إلى العبرانيين
١٣٣	شرح الرسالة إلى أهل أفسس
١٣٤	شرح سفر أعمال الرسل
١٣٥	شرح الرسالة إلى غلاطية
٢٩١	الرسالة الأولى للقديس يوحنا الرسول
٢٩٢	المزامير - المقدمة
٢٩٣	المزامير - المجلد الثاني من مزمور ١-٤١
٢٩٤	المزامير - المجلد الثالث من مزمور ٤٢-٨٩
٢٩٧	المزامير المجلد الرابع من مزمور ٩٠-١٥٠
٢٩٥	النبوّة والأنبياء في العهد القديم
٢٩٦	شرح الرسالة الأولى لبطرس الرسول
مجلدات ذات موضوعات أخرى	
كود	إسم الكتاب

القديس أنثاسيوس الرسولي	٧
الرهينة القبطية في عصر القديس أنبا مقار	٨
حياة الصلاة الأرثوذكسية	٩
المسيح حياته وأعماله	١٣٧
تاريخ إسرائيل	١٣٩
المسيح حياته وأعماله (مجلد)	١٣٧١

ثانياً: الكتب والنبذات

١. سلسلة دراسات في التقليد الكنسي

كود	إسم الكتاب
١٠	الإفخارستيا عشاء الرب
٣٣٤	عشاء الرب
١١	التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي
١٢	العذراء القديسة والدة الإله مريم نينوتوكس
١٣	الصلب المقدس
١٤	التسبحة الزيمية ومزامير السواعي
٣٣٣	المعمودية - الأصول الأولى للمسيحية

٢. سلسلة الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

كود	إسم الكتاب
١٥	أعياد الظهور الإلهي
١٦	الصوم الأربعيني المقدس
١٧	مع المسيح في آلامه حتى الصلب
١٨	القيامة والصعود
١٩	الروح القدس الرب المحي
١٧٧٧	مع المسيح في آلامه حتى الصلب (تجليد فاخر)

٣. مقالات تصلح للخدام والشباب

كود	إسم الكتاب
٢٠	الخدمة
٢١	المسيحي في المجتمع
٢٢	المسيحي في الأسرة
٢٣	كيف تقرأ الكتاب المقدس
٢٤	في التدبير الروحي
٢٥	توجيهات في الصلاة
٤٣٠	مع المسيح - الكتاب الأول
٤٣١	مع المسيح - الكتاب الثاني
٤٣٢	مع المسيح - الكتاب الثالث
٤٣٣	مع المسيح - الكتاب الرابع
٤٣٤	مع العذراء القديسة مريم

٤. مجموعة مقالات في اللاهوت (ألقاب المسيح)

كود	إسم الكتاب
١٧١	ماهية المسيح
١٧٢	المسيح ابن الله
١٧٣	المسيح ابن الإنسان
١٧٤	المسيح والمسيا

المسيح رب	١٧٥
المحبوب	١٧٦
الفدية والكفارة	١٧٧
الخلاص والإيمان	١٧٨
عمانوئيل	١٧٩
رئيس الحياة	١٨٠
أنا هو نور العالم	١٨١
العريس	١٨٢
أنا هو الطريق والحق والحياة	١٨٣
أنا هو خبز الحياة	١٨٤
أنا هو الكرامة الحقيقية وأبي الكرام	١٨٥
حمل الله	١٨٦
أنا هو القيامة والحياة	١٨٧
أنا هو الراعي الصالح	١٨٨
مشتبهى كل الأمم	١٨٩
ألقاب المسيح (مجلد)	١٩٠
٥. سلسلة قصص مسيحية للحياة	

إسم الكتاب	كود
قصص مسيحية للحياة (مجلد)	٧١
سفراء من العالم الآخر	٧٢
في زقاق المسبيين	٧٣
استشهاد الرسولين بطرس وبولس	٧٤
النيروز وذكرى أيام الشهداء	٧٥
أيقونة جميلة	٧٦
قصة استشهاد مزثرة للغاية	٧٧
قصة طهارة و استشهاد بارع	٧٨
أولوجيوس والمقعد الرذيل	٧٩
نايس امرأة الأساطير	٨٠
٦. مقالات رهبانية	

إسم الكتاب	كود
في تعليم المبتدئين (تحت الطبع)	٦٥
نصائح لرهبان جدد	١٩٢
التحولات الروحية السوية	٣٣٥
إرشادات روحية للرهبان	٣٣٦
توجيهات ونصائح رهبانية	٣٣٧
٧. كتب ومقالات في المناسبات والأعياد الكنسية	
١-٧. عيد الميلاد المجيد والتجسد	

إسم الكتاب	كود
أعياد الظهور الإلهي	١٥
التجسد الإلهي	٦٣
ميلاد المسيح وميلاد الإنسان	٦٨
كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن الله	١٩٤
أنشودة التجسد	١٩٦

ميلاد المخلص	٣٣٨
حكماء من المشرق	٣٣٩
رسالة الميلاد لنا اليوم	٣٤٠
السماء تنهيا لسزول الابن	٣٤١
صوم الميلاد شهر الخلاص	٤٧٣
وُلد لكم اليوم	٤٧٤
أتى المسيح إلينا فكيف نأتي إليه	٤٧٥
المسيح عطاء الله للبشرية	٤٧٦
في وسطكم قائم	٤٧٧
٧-٢. عيد الغطاس المجيد (الإبيفانيا)	
إسم الكتاب	كود
عيد الغطاس رؤية وشهادة	٤٧٨
الإبيفانيا عيد الظهور الإلهي	٤٧٩
المعمودية - عبور من الموت إلى الحياة	٤٨٠
٧-٣. الصوم الأربعيني المقدس	
إسم الكتاب	كود
الصوم الأربعيني المقدس	١٦
صوم يونان	٣٤٢
الصوم الأربعيني - تاريخ الطقس	٣٤٣
صوم جماعي وتوبة جماعية	٣٤٤
الصوم المقدس ونغاره المشتهاة	٣٤٥
رسالة إلى الرهبان	٣٤٦
٧-٤. أسبوع الآلام	
إسم الكتاب	كود
مع المسيح في آلامه حتى الصليب (طبعة جديدة)	١٧
مع المسيح في آلامه حتى الصليب (تجليد فاخر)	١٧٧٧
من جمعة ختام الصوم إلى جمعة الصليب	٣٤٧
خميس العهد	٣٤٨
جمعة الصليب	٣٤٩
يوم الصليب يوم القضاء، ويوم البراءة	٣٥٠
مع المسيح في آلامه وموته وقيامته	٣٦٩
٧-٥. عيد القيامة المجيد	
إسم الكتاب	كود
القيامة والصعود	١٨
القيامة والخلقة الجديدة	٢٦
القيامة والرجاء الحي	٢٧
القيامة - فرح القيامة	٣٥١
المسيح قام حقا قام	٣٥٢
وأراهم نفسه حيا	٣٥٣
القيامة والمصالحة	٣٥٤
القيامة والفداء في المفهوم الأرثوذكسي	٣٥٥
قيامة المسيح هي فرح البشرية	٣٥٦
لأعرفه وقوة قيامته	٣٧٠

٦-٧. عيد الصعود المجيد

إسم الكتاب	كود
القيامة والصعود	١٨
ما بين القيامة والصعود	٣٥٧
تأملات في الصعود	٣٥٨
عيد الصعود في اللاهوت الكنسي	٣٥٩

٧-٧. عيد العنصرة المجيد - حلول الروح القدس

إسم الكتاب	كود
الروح القدس الرب المحيي (جزءان معاً)	١٩
رسائل في عيدي الصعود والعنصرة	٢٨
يوم الخمسين في التقليد الآبائي	٢٩
مع الروح القدس في جهادنا اليومي	٤٩
الروح القدس و عمله داخل النفس	٦١
العنصرة - الروح القدس في حياة الكنيسة	٣٦٠
الباراكليت - الروح القدس في حياة الناس	٣٦١
الروح القدس في الاستشهاد والرهبة	٣٦٢
حلول الروح القدس	٣٦٣
مقالات قصيرة عن الروح القدس	٣٦٤
يوم الخمسين وميلاد الكنيسة	٣٦٥
عمل الروح القدس في العذراء وفينا	٣٦٧

٧-٨. صوم الرسل وعيد الرسل

إسم الكتاب	كود
صوم الرسل وعيد الرسل	٣٠
٩-٧. صوم القديسة العذراء مريم وتذكّار صعود جسدها الطاهر	

إسم الكتاب	كود
صوم العذراء القديسة مريم وعيد صعود جسدها إلى السماء	٥١
١٠-٧. عيد النيروز - ذكرى الشهداء	

إسم الكتاب	كود
الشهادة والشهداء	٣١
مقالة في عيد الشهداء	٣٦٨

٧-١١. آباء الرهبة

إسم الكتاب	كود
رسائل القديس أنطونيوس العشرون - مع تلخيص المبادئ الروحية العامة للسبع الرسائل الأولى	٣٦
الكشف الأثري لوفات يوحنا المعمدان واليشع النبي	٤٥
لغة سريعة عن دير القديس أنبا مقار والرهبة القبطية	٤٦
القديس أنطونيوس ناسك انجلي	٥٠
سيرة القديس أنبا مقار	٦٧

٨. كتب في الموضوعات الروحية العامة

٨-١. الكنيسة والوحدة المسيحية

إسم الكتاب	كود
الوحدة المسيحية في ضوء معنى الكنيسة وحقيقة المسيح	٤١
الكنيسة الخالدة	٥٣

٥٥ الوحدة الحقيقية ستكون إلهاماً للعالم ٨-٢. التوبة والحياة المسيحية والجهاد الروحي

إسم الكتاب	كود
التوبة	٣٢
التوبة والنسك في الإنجيل	٣٣
العمل الروحي	٣٤
الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل	٣٥
حياة الحنطة	٣٨
رسائل روجيه	٤٧
غاية الحياة المسيحية	٤٨
مع الروح القدس في جهادنا اليومي	٤٩
كلمة الله شهادة وخدمة وحياة	٥٤
لقد وجدنا يسوع دعوة تعارف	٥٦
قصة الإنسان حول الخطية والخلص	٥٧
تغفروا عن شكلكم	٥٨
حاجتنا للمسيح	٥٩
الكتاب المقدس رسالة شخصية لك	٦٠
النعمة في العقيدة والحياة المسيحية	٦٢
الإنسان والخطية	١٩١
تسليم الحياة للمسيح - رسالة حياة لمن يطلب الحياة	١٩٣
الله واحد - مع شرح صلاة «أبانا الذي في السموات»	١٩٥
رسالة توعية	١٩٧
الحلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي - ١	١٩٩
الحلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي - ٢	٣٣٢
كيف نبني أنفسنا على الإيمان الأقدس	٣٣٠
فن الحياة الناجحة	٣٣١
المسيح يدعو الخطاة	٧١٣
مضى صليتم فقولوا: أبانا الذي في السموات	٧١٦
٨-٣. في القضايا اللاهوتية والروحانية	

إسم الكتاب	كود
الإيمان بالمسيح	٣٧
أين شوكتك يا موت	٣٩
التبرير بين الماضي والحاضر وبين الإيمان والعمل	٤٠
ملكوت الله	٤٣
المرأة حقوقها وواجباتها في الحياة الاجتماعية والدينية	٤٤
الحدود المتسعة للإيمان بالله	٦٤
تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين	١٣٩
كيف سيدين المسيح المسكونة	١٩٨
الحكم الألفي	٢٠٠
الحدود المتسعة للإيمان بالله ورؤيا متفائلة للموازين الله	٥٦٥
٩. مقالات صدرت في موضوعات اجتماعية ومناسبات وطنية	
إسم الكتاب	كود
الكنيسة والدولة	٤٢
رأى في تحديد النسل	٥٢